عناصر التشبيه
بين
التقليد والتجديد

دراسة بلاغية نقدية

إعداد الدكتور
أحمد منصور خلف الله
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
جامعة الأزهر - كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
قسم البلاغة والنقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عناصر التشبيه
بين
التقليد والتجديد
-دراسة بلاغية نقدية-

د/ أحمد منصور خلف الله
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
جامعة الأزهر – كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان
قسم البلاغة والنقد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبـــعـــــد

فاللغة وإن اختلفت فهي قدر مشترك بين جميع الناس في أنها وسيلة التعبير، والتشبيه أحد الأساليب التي يعبر بها الإنسان تعبيراً صادقا عما يجيش في نفسه من صور تعلقت تلك النفس بها، فتبرزها اللغة في العبارة البيانية الخلاّبة حينما يسمو التعبير، وتعمق الصورة ويدق مأخذها، والتشبيه بهذه الصفة تشترك فيه البشرية قاطبة لأنها تصوّر أحاسيسها عن طريقه الذي هو أيسر السبل في البلوغ بالمعنى إلي النفس.

والمجتمع الإنساني مسوق بفطرته إلي التشبيه، يستوي في ذلك العامة والخاصة، والحضري والبدوي والعالم والجاهل، والذكي والغبي فهم جميعاً سواء في رؤية الصورة التي يقرنها كل منهم بالصورة التي تعجبه وتقع تحت حسه، فيظهرها عن طريق تشبيهها بأخرى أعجبته معملاً في ذلك ذوقه الخاص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به، ومن ثم نجد تشبيهات العامة غير تشبيهات الخاصة، فالعامة تشبيهاتهم مما يدور في حياتهم اليومية أو ما يتمنون ويتطلعون إليه.

أما الخاصة فتختلف تشبيهاتهم عن العامة، لأن رؤيتهم للأشياء تباين رؤية العامة، فالصور التي تحت أيديهم ويحسون جمالها يلحقون بها الأشياء حتى تبدو جميلة مثل الصورة التي أعجبتهم، بل ويغوصون إلي المعاني الدقيقة التي تربط بين أجزاء تلك الصورة حتى إذا خرجت كانت عظيمة الأثر في النفس، يفكر الإنسان المتلقي لها في كيفية تأملها وأخذها.

وإذا كان الإنسان يجد مجالاً رحباً لانتزاع صور التشبيه من مظاهر الطبيعة من حوله، ومن عادات المجتمع الذي يعيش فيه، ومسائل العلوم، إلي غير ذلك مما يقع تحت بصره، أو يطرق سمعه، أو يحوك في صدره، أو يجول بخاطره، إذا كان الأمر كذلك، فإن عناصر التشبيه وصوره تختلف من زمن إلي زمن، ومن جيل إلي جيل، ومن ثم حاولت أن أرصد في هذا البحث بعض روافد التشبيه وعناصره وما جُدّد منها، وجَدَّ عليها محاولاً بيان بلاغة كل عنصر أتناوله.

وجاء البحث في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة وفهرس.

الفصل الأول تناول مصادر التشبيه وراوفده، والعناصر التي كثر استعمالها قديما وظلت إرثا يتوارث علي مر الأجيال.

والفصل الثاني تناول تفاوت الشعراء في التشبيه والوصف وأشار إلي أن الشعراء منهم من يجيد التشبيه مطلقاً، ومنهم من تفوق في تشبيه أشياء بعينها.

والفصل الثالث تحدث عن تجديد عناصر التشبيه وتطوير صوره ومظاهر هذا التجديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخاتمة كانت نبذة مختصرة عن خلاصة البحث ومجمله.

والله أسأل أن يمدنا بمدد من عنده، وأن يرزقنا الإخلاص فيما نعمل، وقبولا فيما عملنا. آمين

أحمد منصور خلف الله

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

مصادر التشبيه وروافده

التشبيه فن من فنون الكلام، وعنصر من عناصر الأسلوب، يرسم صورة للحس والشعور، فينقل المعني في وضوح كأننا نراه بأبصارنا ونلمسه بأصابعنا،ويعد التشبيه "من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة"(١)، "بل هو بحر البلاغة وسرها ولُبَابُها وإنسانُ مُقْلَتِها "(٢).

والشاعر أو الكاتب ينقل إلينا صورة مما تقع عليه حواسه ومما تحيط به معارفه، أو يكتسبها من خبرته وتجاربه، وربما اختزن هذه الصورة فترة تطول أو تقصر حتى يجد الباعث لإيقاظها فتطفو علي سطح الذاكرة من جديد، ولذلك تضمنت أشعار العرب كثيراً من التشبيهات التي أدركتها بوعيها أو حسها " فشبهت الشئ بمثله تشبيها صادقا علي ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها، فإذا تاملت أشعارها، وفتشت جميع تشبيهاتها وجدتها على دروب مختلفة، وبعضها أفضل من بعض،وبعضها ألطف من بعض"(٣).

والتشبيه عند المبرد من أكثر كلام الناس وقد وقع علي ألسن الناس من التشبيه المستحسن أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية، والأنف بحد السيف، والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد، والعنق بأبريق فضة، فهذا جار علي الألسن في كلامهم المنثور، وشعرهم المنظوم(٤).

---

(١) البرهان في وجوه البيان. ص (١٣٠) تحقيق د/ مطلوب.
(٢) الطراز للعلوي. ص (٣٢٦).
(٣) عيار الشعر لابن طباطبا ص (١١).
(٤) الكامل للمبرد ج ٢ ص (٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشعر الجاهلي يزخر بالصور الحسية التي تشير إلي حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم فيصفون الفرس، والناقة.....، وما يشاهده البدوي في رحلته من آثار الكون والطبيعة ينقلها إلينا بإحساسه الساذج البرئ من التفلسف والتعقيد، فالتشبيه في العصر الجاهلي كان أقرب إلي الواقع الحسي وأدني إلي طبيعة الشعر بحالته التي عرف عليها من البساطة والسذاجة حتى إنه في كثير من الحالات يعتبر مظهراً من مظاهر البدائية في التفكير والسذاجة الأولية في التعبير.

ثم تطور أمر التشبيه ولم يعد مجرد نقل ما يقع في دائرة الحس، وإنما صار إلي أمر آخر أقرب ما يكون إلي اللذة والإبداع والاستمتاع بالصورة، وقد برز هذا الاتجاه علي يد ابن المعتز الذي أولع بالتشبيه ولوعاً شديداً حتى صار مضرب المثل بكثرة تشبيهاته وسار العرب في تشبيههم على هذا المنوال إلي أن تحول التشبيه من دائرة الحس إلي رحابة الذهن، ولم يستمر علي وضعه في التماثل سواء في الصورة أو ما يدرك بالحواس، وإنما ظهرت جوانب أخري تجهد لإبراز فيض المشاعر والأحاسيس، أو تعمل علي مخاطبة العقول والأفكار إلي أن طغي الاستمتاع العقلي بالتشبيه، واستبد بفن القول وقد ظهر هذا الاتجاه جليا في شعر أبي تمام الذي يعد رائداً في هذا المضمار وسانده في ذلك كثير من النقاد، حتى صار التشبيه فلسفة فنية لها قواعدها وأصولها علي يد الإمام عبد القاهر الجرجاني [1]

أعود فأقول: إن البليغ يستطيع أن يجد مجالاً رحبا لانتزاع صور التشبيه من مظاهر الطبيعة وجميع مناحي الحياة، مما يقع تحت بصره أو يطرق سمعه، أو

---

(١) انظر القرآن والصورة البيانية د/ عبد القادر حسين ص(٥، ٦)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجول بخاطره وبخاصة إذا كان واسع المعرفة، صاحب بصيرة نافـذة، وفكـر ثاقب، ونظر بعيد، وملاحظة دقيقة.

وإذا تأملنا وجوه التشبيهات المختلفة من رؤى حسية، أو معان عقلية وصور خيالية، أو نبضات وجدانية وجدنا أنها أشياء التقطت من هذا الخضم الزاخر.

فهذا الكون بسمائه وما أظَّلت، وأرضه وما أقلت ثروة ضخمة يفيد منها نظر المتوسم، والفكر الثاقب، والعقل المتأمل.

ومصادر التشبيه لا يمكن حصرها، لأن كل ما يحيط بالأديب اللماح كنـوز من المعاني التي لا تنفد علي إنفاق.

وقد ألهبت الطبيعة المفتوحة المنبسطة حس الشاعر الجاهلي فـراح يبثهـا لواعج نفسه في كل حين، فليلها الطويل ثقيل علي نفسه المكدودة إذا جنَّ، ولكنه ليس كذلك إذا صاحبه فيه القمر، ونهارها معاشه ولذة نفسه، ولكن قيظ الهاجرة يؤلمه، ويخفف من وطأة ذلك عليه ريح الشمال إذا هبت من الشرق وهي غالباً ما تذكره بمحبوبته.

يقول امرؤ القيس في قصيدته (قفا نبك) [1]:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مَطِيَّهُم ... يقولون لا تهلك أسيً وتجمَّلِ
وإنَّ شِفائي عَبْرةٌ مُهرَاقَةٌ ... فهَلْ عِنْدَ رسْمٍ دَارِسٍ من مُعَوَّلِ
كَدأبِكَ مِن الحُوَيْرثِ قَبْلَها ... وَجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ

---

(١) ديوان امرئ القيس ص (٢٧) ــ تحقيق حنا الفاخوري دار الجيل بيروت ١٩٨٩ م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إِذا قَامتَا تَضوَّعَ المِسْكُ مِنْهُما نَسِيمَ الصَّبَا جَاءتْ بِرِيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُموعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً علي النَّحْـرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعي محملي

نصب(وقوفاً) علي الحال، أي قفا نبك في حال وقف أصحابي مطيَّهم عليّ أي لأجلى أو علي رأسي وأنا قاعد عند رواحلهم ومراكبهم، يقولون لي: لا تهلك من فرط الحزن وشدة الجزع وتجمّل بالصبر.

ثم أشار في البيت الثاني إلي أن شفاءه من دائه ومما أصابه يكـون بـدمع يصبُّه، ثم قال: ولا طائل في البكاء في هذا الموضع لأنه لا يرد حبيبا ولا يجدي علي صاحبه بخير، أو لا أحد يُعوّل عليه ويفزع إليه في مثل هذا الموضع.

ثم يبين أن عادته في حب هذه كعادته في حب تلك، أي قلة حظه من وصال هذه ومعاناته الجد كقلة حظه من وصالها ومعاناته الوجد بهما، وقوله (قبلها) أي قبل هذه التي شغفت بها الآن.

ثم يقول (إذا قامتا.....) أي إذا قامت أُمُّ الحويرث وأُمِّ الرَّباب فاحت ريـح المسك منهما كنسيم الصبَّا إذا جاءت بَعَرْف القرنفل ونشره.

ثم لما وصف جمالهما وصف حاله بعد بُعْدِهما فقال:

(ففاضت دموع العين مني صبابة.....) أي فسالت دموع عيني من فرط وجدي بهما وشدة حنيني إليهما حتى بل دمعي حمالة سيفي.

وأيضاً يصف جيدها في نفس القصيدة فيقول:

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذا هِيَ نَصَّتْهُ ولَا بِمُـعَطَّلِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والرئم هو الظبي الخالص البياض، والجمع آرام، والنصُّ: الرفع ومنه سُمّي ما تُجلي عليه العروس مِنَصَّة، والفاحش: ما جاوز القدر المحمود من كل شيء، والمعطّل: الذى لا حَلْيَ عليه، يقول: وتبدي عن عنق كعنق الظبي غير متجاوز قدره المحمود إذا ما رفعت عنقها وهو غير معطل عن الحلي، فشبّه عنقها بعنق الظبية في حال رفعها عنقها، ثم ذكر أنه لا يشبه عنق الظبي في التعطل عن الحلي.

ثم يشبه أناملها بالأساريع أو المساويك فيقول:

وَتُعطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّه أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أو مَسَاوِيكُ إسحل

أي تتناول بأنامل لينة ناعمة ليست بغليظة، كأنها أساريع ظَبْيٍ، والأُسْرُوع واليسروع هو دود يكون في البقل والأماكن النديّة تُشَبَّه أنامل النساء به، وظَبْي: اسم رملة، والمساويك جمع المِسواك، والإسحل: شجر يُستاك به.

ثم يشبه إشراق وجهها وجماله بمصباح راهب منقطع عن الناس، فيقول:

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشَاءِ كَأَنَّها مَنَارَةُ مُمْسَي رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ

أي أن إشراق وجهها ونوره يغلب ظلام الليل كما أن نور مصباح الراهب يغلبه.

ثم انتقل بعد ذلك إلي تصوير الليل وما يلاقيه فيه من ألم وحزن حتى كأن ذلك الليل موج البحر الذي أرسل ستوره عليه مع الهموم والأحزان ليختبره فقال:

ولَيلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَي سُدُولَه عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمومِ لِيبتَلي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وها هو الأعشى ميمون بن قيس يصف السحاب والمطر ويخاطب خليله في أسلوب استفهامي عن ذلك العارض الممتد في الأفق، لقد جذب عينيه، ولم يستطع التحول عنه، إنه البرق كأنه شعلة تضئ ثم يذهب وميضها، وله رادف متتابع كأنه ظلمات بعضها فوق بعض، وهو دائم السقوط والهطل، وقد اتخذت أطرافه ومناحيه من الماء حزاما تنتطَق به، يقول(١):

يا من يرى عَارِضا قد بِتُّ أرْقُبه كأنَّما البَرْقُ في حَافاتِه الشُعل

له رادف وجوز مفأم عمل منطق بسجال الماء متصل

لم يلهني اللهو عنه حين أرقبه ولا اللذاذة من كأس ولا الكسل

وقد شبهوا الكتيبة في كثرة أجنادها بالسحاب الذي ألَّبته ريح الجنوب فغزر ماؤه فقال بشر بن أبي حازم [١]:

فلما رأونا بالنسار كأننا نشاص الثريا هيجتها جنوبها

والنسار اسم موضع، ونشاص الثريا: ما ارتفع من السحاب، كذلك شبهوا مشية الحسناء بالسحابة التي ليست بطيئة ولا مسرعة.

فقال الشاعر:

كأن مشيتها من بيت جارتها مَرُّ السحابة لا ريث ولا عجل

---

(١) من ديوانه قصيدة (ودع هريرة)

(٢) المفضليات للضبي ص (٣٣١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التشبيه بالبحر والسفن

هذا وقد انتزع شعراء الجاهلية من البحر عدة صور وأخيلة، وإن دلَّ فإنما يدل علي قوة حاسة الوصف عند الجاهلي التي رأيناها تصف المحسوس.

والبحر ذو صفات عديدة فهو ينبوع الخير، ومصدر الرخاء والثروة وهو ذو موج عال صاخب مفزع أحيانا، ومن ثم فهو يشبه الجواد المعطاء، أو العالم الغزير العلم، ويشبه أيضا ثورة الغضب سواء في مجال الطبيعة أو الناس.

كما أنهم شبهوا ظلام الليل الداكن بأمواج البحر المتلاطمة كما رأينا في وصف امرئ القيس السابق:

" وليل كموج البحر أرخي سدوله "

وقد شبه عنترة العبسي أعداءه بأمواج البحر في الكثرة حين قال [1] في حرب كانت بين عامر وعبس يذكر قتل زُهير بن جُذَيمة:

سلي يا بنة الأعمام عني وقد أتت قبائل كَلْبٍ مع غَنيٍّ وعامر

تموج كموج البحر تحت غمامة قد انتسجت من وقع ضرب الحوافر

وقال مالك بن نويرة مشبها غضبهم وثورتهم بهياج البحر فقال[2]:

فما فتئوا حتى رأونا كأننا مع الصبح آذي من البحر مزبد

والآذى هو الموج.

---

(١) ديوان عنترة ص (١١٦) تحرير د/ محمد عناني طبعة خاصة بمكتبة الأسرة.

(٢) الأصمعيات ص (٢٢٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد شبه بعض الشعراء ارتحال الرحل في الصحراء بالسفن المرتحلة في البحر لما بين الصورتين من تشابه في التحمل والتنقل، فقال النابغة في قصيدة بعنوان (نعاج الرمل) [1]:

كأنَّ الظُّعن حين طفون ظُهراً سفينُ البحر يمَّمن القَراحا

أي كأن النوق الظاعنة الراحلة حين عفون ظُهراً سفين البحر تمايلاً وحركة، ويمَّمن القَراحا أي قصدن الأرض المجدبة.

وقد وصف الشاعر الجاهلي الغواص بما يدل علي أن صناعة استخراج اللؤلؤة قديمة في خليج العرب، وكذا استخراج المرجان من البحر الأحمر يقول قيس بن الخطيم[2]:

كأنها درة أحاط بها الغوا ص يجلو عن وجهها صدف

التشبيه بالطير:

ومن الأشياء التي رصدها أهل الجاهلية في الطبيعة العربية الطير، فقد كانت الجزيرة العربية تموج بأنواع شتي منها.

ومن الطيور التي استعان بها الشعراء في تشبيهاتهم طيور تعيش علي ظهر الأرض مستقرة، ومنها المحلق في الأجواء دائما متمتعا بحياة حرة طليقة ومن الطيور التي شبهوا بها النَعَامُ، والعِقْبَانُ، والنُّسورُ، والرَّخَمُ، والصَّقْرُ، والحَمَام، والقَطَا، والغِرْبَانُ، والحُبَارَي، وانتزعوا منها تشبيهات خلعوها علي الخيل أوعلي

---

(١) ديوان النابغة ص (١٤٧) شرح وتقديم عباس عبد الساتر .

(٢) الأصمعيات ص (٢٢٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معاني الشجاعة والقوة، أو الجبن والفزع، كما شبهوا وجه المحبوبة ببيض النعام، كما شبهوا الناقة بالعِقْبَان في السرعة وشدة العدو.

وشبه الشاعر عمرو بن معد يكرب هياكل الإبل النافقة في الفيافي والشعاب بالرخم، وشبه الحارث بن حلزة حصانه بالصقر الذي يطارد سرباً من الحمام، كما أنهم اتخذوا من القطا مثلاً في التبكير، وشبهوا مشية القطا بمشية الصبية الحسناء، ووصفوا آثارها في الأرض بآثار النوق لدي بروكها.

كما أنهم وصفوا الغربان بنذير الشؤم، وكرهوها شكلا ورسماً لما لها من صوت محزن تشمئز منه النفوس وتنقبض له أسارير الوجوه وقد شبهوا النوق بريش الغراب في شدة السواد كما تحدثوا عن أكله لجثث قتلاهم، كما ضربوا الأمثال بطائر الحبارى في الغبرة والشعث، وقد شبه امرؤ القيس ساق فرسه بساقي النعامة في السرعة والعدو:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

ووصف كليب بن وائل بالنعام الجبان الفزع فقال(١):

فأردينا الملوك بكل عضب وطار هزيمهم حذر اللحاق

كأنهم النعام غداة خافوا بذي السلان قارعة التلاقي

وشبه سلامة بن جندل الخوذة علي رأس المحارب ببيضة النعام ملاسة وصفاء فقال(١):

كأن النعام باض فوق رءوسهم بنهي القذاف أو بنهي مخفق

---

(١) الأصمعيات ص (١٤٩). (١) ديوانه من قصيدة(دعانى داعيا مضر جميعا)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد شبه الكثير من الشعراء ديار المحبوبة بعد رحيلها منها بأنهـا مرعـي النعام يقول عبيد بن الأبرص[1]:

فلابنة حطان بن قيس منازل كما نمّقَ العنوان في الرّقَ كاتب

تطل بها ربد النعام كأنها إماء ترجي بالعشي حواطب

وأما العِقْبانُ فقد عرفتها العرب لارتيادها الجزيرة العربية، فـشبهوا بهـا واتخذوها مثالاً للقوة، وقد شبه بها المثقب العبدى كتيبة النعمان فقال(٤):

لها فرط يحوي النهاب كأنه لوامع عقبان مروع طريدها

وشبه بها عبيد بن الأبرص ناقته في العدو والسرعة فقال:

كأنها لقوة طلوب تخر في وكرها القلوب

وأمـا الرّخَمُ فهو ضرب من النسور، يتبع الجيوش ليطعم من لحوم القتلي وهو معـروف عنـد العرب، وقد شبه بها الشاعر عمرو بن معد يكرب هياكل الإبـل النافقـة فـي الطريق الوعر وتراءت له عظامها من بُعْدٍ كـالرَّخَمِ الواقعـة علـي فريـستها فقال[2]:

تري جيف المطي بحافتيه كأنَّ عظامها الرَّخَم الوقوع

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص (١٧). (٤) ديوانه من قصيدة(ألا ان هندا)

(٢) الأصمعيات ص (٢٠٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والشاعر المرقش الأكبر يصف الظباء فيشبهها باللآلئ في بياضهن وحسنهن، وبالحمام في سرعتهن فراراً من الصقر فيقول[1]:

فكأنهن لآلئ وكأنه صقر يلوذ حمامه بالعوسج

والعوسج هو الشجر.

أما القطا فهو طائر يشبه الحمام، وقد ضربوا به الأمثال في الاهتداء إلي الأماكن الوعرة التي يضل في الاهتداء إليها الخبراء بالمسالك والدروب كما أنهم ضربوا به المثل في البكور، مثل قول عبيد بن الأبرص:

وقد أغتدي قبل الغطاط وصاحبي أمين الشطا رخو اللسان سبوح[2]

وقوله (أمين الشطا) كناية عن امتلاء ظهر الحصان، وسبوح أي سريعة، رخو اللسان أي طيع.

وشبهوا به مشية الصبية الحسناء مثل قول الشاعر[3]:

فدفعتها فتدافعت مشي القطاة إلي الغدير

أما الصقور

فقد شبهوا به للدلالة علي القوة وسرعة العدو، والإقدام علي الفريسة، يقول المرقش الأكبر يصف شجاعة ملك من آل جفنة بأنه ينقض علي الأعداء كالصقر يقدمه جيش عرمرم يشبه الشجر الكثيف الملتف في غزارته ويلتهم كل ما مر به لكثرته وعزته فيقول:

---

(١) المفضليات ص (٢٥٦).

(٢) شعراء النصرانية ص (٦١٤).

(٣) المفضليات ص (١٣٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فانقض مثل الصقر يقدمه جيش كغِلاّن الشّرِيْفِ اللّهَمّ

والغِلّانُ جمع غالّ بتشديد اللام وهي أودية فيها شجر، والشُّرَيْفُ بالتصغير مكان بنجد، واللِهَمّ بكسر اللام وفتح الهاء وتشديد الميم الذي يلتهم كل ما مرَّ به لكثرته وعزته.

وغلب ذكر الحمام لدي الشعراء الغزليين والعاشقين المحبين حيث إن النواح يجمعهم والألم يربط بينهم، فإذا سمعوا الحمام فوق أيكة ينوح أثار كوامن الشجن في نفوسهم وذكرهم بالأسى ولوعة الفراق والحنين إلي من يحبون، يقول الأعشى [1]:

ويوم الخرج من قر ماء هاجت صباك حمامة تدعو حمامة

أما الأغربة فقد كرهتها العرب وتشاءمت من تنعابها، ولعل ذلك راجع إلي لونها وصوتها يقول الجاحظ: " وربما تشاءمت العرب لأن الغرابة والاغتراب والغريب مشتق منه " [2]، يقول النابغة:

زعم العوازل أن رحلتنا غداً وبذاك تنعاب الغراب الأسود

والحبارى طائر أكبر من الحمام حجماً وقد ضربوا به الأمثال في غبرة اللون وقد ورد ذلك في رثاء (متمم بن نويرة) لأخيه (مالك) فقال[3]:

وأرملة تسعي بأشعث محتل كفرخ الحباري رأسه قد تضوعا

---

(١) ديوان الأعشى ص (١٢٤).

(٢) الحيوان للجاحظ ص(١٣٥) تحقيق هارون.

(٣) جمهرة أشعار العرب ص (٢٩٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و(محثل) بمعني ضعيف سئ الغذاء، وتضوع أي ذهب شعره.

أما العصفور فقد وصف به الشاعر الجاهلي حاله حين تعتر به ذكري محبوبته فترتعد فرائسه ويقشعر جسده مثله في ذلك مثل العصفور الذي بللته قطرات الماء فيقول [1]:

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلّهَ القطر

التشبيه بالحيوان

انتزع الشعراء صوراً جميلة وتشبيهات رائعة من البقر الوحشي فشبهوا عيون الحسناوات بعيون البقر الوحشي في الاتساع والجمال. والجاذبية، وكذلك تشبيههم مشية الحسناء وهي متبخترة بمشية البقرة الوحشية التي تمشي بهدوء علي الرمال الناعمة حذر السقوط في الوديان والوهاد. يقول قيس بن الخطيم[2]:

تمشي كمشي الزهراء في دمث الر مل إلي السهل دونه الجرف

وأيضا الشاعر معن بن أوس يشبه عين الحسناء بعيني البقرة الوحشية في الاتساع ونصاعة البياض وشدة السواد وهو ما يعرف بالحور فيقول(٢):

سبتني بعيني جؤذر بخميلة وجيد كجيد الرئم زينه النظم

والجؤذر هو ولد البقرة الوحشية، والرئم هو الغزال.

وأيضا ضرب العرب المثل بالوعل وهو التيس الجبلي المحب لسكني الجبال العالية ضربوا به المثل في صعوبة إنزاله إلي الأرض وله كلف شديد

---

(١) الأغاني ج٢ ص (٩٧).

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ص (١٧). (٢) ديوانه من قصيدة (عفا وخلا ممن عهدت به خم)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشغف بضرب الصخر بقرنيه، وهو محب أيضاً للعزلة، ولذلك نراه بمنجاة من الصيادين والقناصين.

ومن ثم صور الأعشى الجهد الضائع سدى، وبدون فائدة بنطـــاح الوعـــل للصخرة الصلبة القوية فلم يضرها وأوهي قرنه وأتعبه فقال:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل

أما الغزال فقد أفاض الشعراء في وصفه وأعجبوا بخفة حركتـــه وحـــور عينيه وسواد مقلتيه ورشاقته وسرعة عدوه وضمور خصره فشبهوا به في كـــل هذه الصفات، مثل قول امرئ القيس وهو يصف جيد الحـــسناء بجيـــد الغـــزال فيقول:

وجيد غزال شادن فردت له من الحلي سمطي لؤلؤ وزبرجد

وفي ضمور الخصر يشبه امرؤ القيس فرسه بخصر الغزال في قوله:

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وأيضاً لاحظ العرب في الكلاب صفات كـــالجبن أحيانـــاً وعـــدم النبـــاح للضيفان، اتخذوا هذه الصفات دليلاً علي الكرم، والعكس صحيح، كما أن شعراء الجاهلية افتنوا في وصف كلاب الصيد وأبرزوا سماتها من شراسة وقوة ونشاط وحدة بصر وسمع، وسرعة العدو، فمثلا الشاعر الذي يفخر بالكرم فيقول:

فإن يك فيَّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكانوا يهدون الغرباء ليلا بنباح الكلاب ولذلك أوصي أحدهم ابنه بكلبه فقال[1]:

أوصيك خيراً به فإن له خلائقا لا أزال أحمدها

يدل ضيفي عليَّ في غسق الليل إذا النار نام موقدها

كما أنهم زعموا أن دماء الملوك تبرئ المصاب بداء الكلب يقول الشاعر الكُميت في مدح بني هاشم (٢):

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكَلَب

وانتزع الشعراء منها أيضا صفات أخري كنقل الكلاب لصغارها بسرعة إذا كانت مذعورة خائفة وشبهوا بها فقال بشر بن أبي حازم (٣):

قطعناهم فباليمامة فرقة وأخري بأوطاس يهرَّ كليبها

نقلناهم نقل الكلاب جراءها علي كل معلوب يثور عكوبها

اليمامة وأوطاس: موضعان، وكليب جمع كلب، أي يهرون مثل هرير الكلاب، ونقلناهم أي خافوا حربنا وقتالنا فانتقلوا من بلدهم، والجراء جمع جرو، والمعلوب: الطريق الموطأ الممهد، والعكوب: الغبار، أي غبار الطريق.

أما عن التشبيه بالأسد فكثير جداً، والدليل علي ذلك وروده بكثرة في أشعارهم وكثرة الأسماء والصفات التي وضعت له وكثرة الأماكن التي تنسب إليه مثل الشري، وعثر، وعود، وخفان، وحاملة والملاحيظ وحلية وبيشة وغير ذلك،

---

(١) شعراء النصرانية ص (١٢١). (٢) ديوانه قصيدة (أحلامكم لسقام الجهل).(٣) ديوانه من قصيدة (عفت من سليمى رامة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأبرز صفة في الأسد هي الجرأة ومن ثم شبهوا به الشجعان والأقوياء في جرأتهم، والأمثلة أكثر من أن تحصر، فمثلاً يصور شاعر مشية قومه الشجعان إلي أعدائهم بمشية الليث الحانق فيقول (١):

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان

وكما أنهم تحدثوا عن جرأة الأسد تحدثوا أيضا عن جرأة الضبع وشراسته وأنه يأكل لحوم القتلي في الحرب:

رد سناهم بالخيل حتى تملأت عوافي الضباع والذئاب السواغب

وأيضا التشبيه بالذئب في زهادته وقناعته والرضا بالقليل من طعام وخفة حركته وجرأته أيضا وخبثه وبخاصة ذئب الغضي يقول امرؤ القيس في تشبيه الربيء الذي يربأ للقوم وينظر للصيد من مكان سامق شامخ ساتراً نفسه لئلا يشعر به الصيد فيشبهه بذئب الغضي وهو أخبث الذئاب حيث إنه يمشي متخفيا في الأشجار استتاراً من الصيد واتقاءً أن يراه ليتمكن من صيده فيقول الشاعر في هذا المعني (٢):

بعثنا ربيئا قبل ذاك مخملا كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي

والمخمل: الذي يستر نفسه ويخفيها لئلا يشعر به الصيد، واتقاء أن يراه

ويشبه امرؤ القيس أيضاً فرسه في سرعة العدو بالذئب فيقول:

---

(١) شعراء النصرانية ص (٢٤٤). (٢) ديوانه ص (١٥١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وكذلك يوصف الثعلب بالخداع واللؤم والخبث والمراوغة، وجاء التشبيه به كالبيت السابق، والتتفل هو ولد الثعلب.

التشبيه بالحشرات والزواحف:

رأينا أن للبيئة أثراً كبيراً في أخيلة الشعراء، فاستمدوا منها خيالهم ورسم صورهم في صدق وأصالة، وكان من بين ما وصفوه واستمدوا منه تشبيهاتهم الحشرات والزواحف كالجراد الذي يشبه به الجيش مثلاً في الكثرة مثل قول الشاعر:

وعادية سوم الجراد وزعتها بكفي وقد أنحو إلي العواليا

والعادية هي كتيبة الجيش المعادية.

كما شبه الشاعر قيس بن الخطيم نعومة صدر الحسناء بالجرادة في ملامستها ونعومتها فقال:

كأن لباتها تبدّدها هزلي جراد أجوازه خُلُف

وخُلف جمع خليف وهو السهل الجديد، وأجوازه بمعني أوساطه.

وأيضاً من الأشياء التي شبه بها الشعراء النحل في الحلاوة مثل قول عنترة(١):

وبين ثناياها إذا ما تبسمت مدير مدام يمزج الراح بالشهد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أيضاً من الحشرات التي شبه بها الشاعر الجاهلي الجندب في صغر العين ودقتها قال قيس بن الخطيم (٢):

مضاعفة يغشي الأنامل ريعها كأن قُتيريها عيون الجنادب

فالشاعر يشبه مسامير الدروع بعين الجندب، ومعني الريع: الزيادة، والقتير: مسمار الدرع.

أيضاً من الزواحف التي وصفها الشاعر قديماً وشبه أيضاً بها الأفاعي، فقد شبه الشاعر شعر محبوبته الأسود الفاحم الناعم والضفائر الطويلة بحيات (رمان) الطويلة السوداء الناعمة الملمس فيقول(١):

وأسحم ريان القرون كأنه أساود رَمان السياط الأطول

أسحم أي أسود والمراد به الشعر، والقرون الضفائر، والأساود: الحيات السود، ورمان بفتح الراء موضع ببلاد طئ، والسياط: اللينة، والأطاول:الطويلة.

التشبيه بالأسلحة:

عاش العربي في الجاهلية حياة كلها شظف تحيط بها الأخطار من كل النواحي وتحف بها المخاوف والأهوال من شتي المناحي، فحياته كلها يحياها بين المفاوز والجبال.

---

(١) ديوانه من قصيدة (اذا الريح هبت من ربى العلم).

(٢) ديوانه من قصيدة (أتعرف رسما) .

(٣) المفضليات ص (٩٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن حياته لم تخل من خوض المعارك أو المشاركة فيها والتي كانت نتاج تطاحن قبلي، أو تناحر عصبي بالإضافة إلي أخطار الصحراء وما يكتنفها من أهوال تهدد حياته، كل ذلك جعل العربي لا يفتأ يحمل سلاحه لا يفارقه أينما حل أو سار، فهو يري فيه حياته التي يجتهد في الحرص عليها ولهذا أسرف الشاعر الجاهلي في وصف سلاحه سواء الشخصي وهو السيف الذي لا يفارقه في سلم أو حرب، أو الأسلحة الأخرى التي كان يعدها للنزال، فهو يصف حده ولونه، وصورته، وحركته، ومكان صنعته، ويصف مقبضه وما عليه من آثار الماء.... إلخ.

فالأسلحة تعد عناصر ثرية من عناصر التشبيه قديماً وأمثلتها كثيرة لا تحصي من هذه الأسلحة السيف، والرمح والدرع والترس، والسهم، والقوس وغير ذلك من عناصر في الطبيعة لا يمكن حصرها.

بل كثيراً ما يستفيد الفطن من كلام العامة والدهماء، ولا يري في ذلك عيباً أو غضاضة.

يقول ابن الأثير[1]: إن بعض العبيد الأحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صنع الألفاظ فضلاً عما وراء ذلك وذاك، رأي صبيا في يده طاقة ريحان، فقال: هذه طاقة آس تحمل طاقة ريحان !فلما سمعت ذلك منه أخذتني هزة العجب، وذكرت شعر أبي نواس الذي تواصفه الناس في هذا المعني، وهو قوله:

وردة جاء بها شادن في كفه اليمني فحيّانا

سبحت ربي حين أبصرتها ريحانة تحمل ريحانا

---

(١) المثل السائر ص (٢٢، ٢٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأنه سمع امرأة توفي ولدها البكر تقول: كيف لا أحزن لذهابه وهـو أول درهم وقع في الكيس ! ولا يجد ابن الأثير غضاضة في أن يصرح بأنه أخذ هذا المعني وأودعه كتاب تعزية إلي بعض الإخوان _ وقد توفي ولده الأول _ فقال: وهو أول درهم ادخرته في كيس الادخار، وأعددته لحوادث الليل والنهار.

وفي أخبار المعتمد بن عباد أنه في بعض خروجه للتنزه رأي ثمرة تين قد أدركت، فسدّد إليها عصا كانت في يده فأصابها وثبتت في أعلاها، فأطربه مـا رأي من حسنها وثباتها، فقال لابن حاج _ وكان صباغا _ أجز:

كأنها فوق العصا

فأجابه مسرعاً:

هامة زنجي عصا

فزاد طربه وسروره وأمر له بجائزة سنية.

وقد كان ابن الخشاب البغدادي يتفقده طلبة العلم، فيجدونه واقفاً علي حلقات القُصّاص والمشعبذين، وقد ليم علي ذلك _ وهو من أئمة العلم _ فقال: لو علمتم ما أعلم لما لمتم، ولطالما استفدت من هؤلاء الجهال فوائد كثيرة، ففـي ضـمن هذيانهم تجري معان غريبة لطيفة، لو أردت أنا أو غيري أن نأتي بمثلهـا لمـا استطعنا ذلك، وقديما قالوا، ربُّ رمية من غير رام [1].

وقد يكون مصدر التشبيه قصة دينية أو اجتماعية، كقول المتنبي يرثي محمد بن اسحق التنوخي(٢):

وكأنما عيسي بن مريم ذكرُه ... وكأن عازر شخصه المقبور
كفل الثناء له برد حياته ... لما انطوي فكأنه منشور

---

(١) الأصول الفنية للأدب ص (١٢٨). (٢) ديوانه من قصيدة (إني لأعلم واللبيب خبير).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالشاعر يشير إلي قصة إحياء _المسيح عليه السلام _لعازر بعد موته بإذن الله.

وقول ابن حجاج الكاتب وهو يشير إلي ذئب سيدنا يوسف _ عليه السلام _ حيث يضرب مثلاً لمن يرمي بذنب أو يقترفه، بل جناه غيره

يقول الشاعر:

قد أذنب القوم والْزمته كأنهم أولاد يعقوب
إذ جعلوا يوسف في جُبَّة وأوقعوا الذنب علي الذيب

ومثله قول أبي الشيص:

وقائلة وقد بصرت بدمع علي الخدين متهمر سكوب
أتكذب في البكاء وأنت خِلو قديماً ماجسرت علي الذنوب
جفونك والدموع تجول فيها وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف حين جاءوا علي لَبَاته بدم كذوب
فقلت لها فداك أبي وأمي رجمت لسوء ظنك بالغيوب

والخِلو من الرجال: الفارغ البال من الهموم، ويقال: فلان خِلوٌ من هذا الأمر، واللَّبَات مفرده لَبَّة: أي موضع القلادة من العنق أو القلادة نفسها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول بشّار في أبي مخلَد، وقد أشار في الأبيات إلي سنور عبد الله حيث كان يضرب به المثل لمن يكون مرجوّاً في صغره فإذا كبر تراجع ولم يفلح. قال الشاعر[1]:

أبامخلَدمازلت سبّاَح غمره صغيرفلماشبت خيمت بالشاطى

كسِنَور عبد الله بيع بدرهم صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط

وقول شاعر في قوّاد:

من ذم إدريس في قيادته فإنني شاكر لإدريس

مَنَّ بمستعصب فجاء به أطوع من آدم لإبليس

وكان في سرعة المجئ به آصف في حمل بلقيس

إشارة إلي قصة سليمان _عليه السلام _ مع بلقيس ملكة سبأ وإحضار وزيره آصف لعرشها منكراً كما جاء في قصص الأنبياء [2].

وقول شوقي في الدستور[3]:

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ج٢ ص (٣٠٧).

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص (٤٩٤) وما بعدها.

(٢) الشوقيات ج٢ ص (٢٠٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم الخميس وراء فجرك للهدي صبح وللحق المبين نهار

أقبلت بالدستور أبلج زاهرا يفتن في قسماته النظـــار

يحمي لفائفه ويحرس مهده شيخ يذود وفتية أنـــصار

فكأنه عيسي الهدي في مهده وكأن سعيداً يوسف النجار

يشير شوقي إلي قصة مريم _ عليها السلام _ وميلاد عيسي من غير أب، ويوسف النجار كان خطيب مريم قبل حملها بالمسيح _ عليه السلام _.

وقوله _ أيضاً _ من أندلسية:

بتنا فلم تخل من رَوْح يراوحنا من بِرِّ مِصْرَ وريحان يغادينا

كأم موسي علي اسم الله تكفلنا وباسمه ذَهبت في اليم تلقينـــا

يشير إلي قصة سيدنا موسي _ عليه السلام _وهو طفل حين رمته أمه في اليم خوفاً عليه من بطش فرعون.

وقول محمود غنيم في وصف الراديو:

كأنَّما كُلُّ أذن أذن سارية وكُلُّ ناءٍ يُنادي نائيا عمر

يشير في البيت إلي قصة سيدنا عمر بن الخطـــاب _رضـــي الله عنـــه _ وسارية بن زُنَيم وندائه له وهو علي منبر المدينة يا سارية الجبل، وكان سارية بنهاوند ببلاد الفرس يغزو، وقد اجتمع العدو بالجبل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأيضا قد يشار إلي أمور دينية كقول بشار:

فؤادي فيك مجنون ولو أستطيع كبَّلتُه
وأنت الحجر الأسود لو يخلــو لقبلنــه

فالشاعر يشير إلي تقبيل الحجر الأسود وهو شعيرة من شعائر الإسلام.

وفي قول سراقة الأندلسي إشارة إلي ملك الحسنات:

وصاحب كالزلال يمحو صفاؤه الشك باليقين
لم يحص إلا الجميل مني كأنه كاتــب اليمــين

وهو عكس ما قاله المنازي الذي يشير إلي ملك السيئات:

وصاحب خلته خليلا وما جري غدره ببالي
لم يحص إلا القبيح مني كأنه كاتــب الــشمال

وقول أبي تمام في مالك بن طوق وقد حجبه:

مالي أري القبة الفيحاء مقفلة دوني وقد طالما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عَمَــلٌ زاكٍ فأدخلهــا

أو قد يكون مصدر التشبيه حقائق من التاريخ والسير كالذي أنشده أبو أحمد العسكري مشيراً إلي سيدنا آدم _ عليه السلام _:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليس له ما خلا اسمه نسب كأنه آدم أبو البشر

وقول ابن المعتز وهو يشير إلي قتل الحسين _ عليه السلام _ في عهد تولية عبيد الله بن زياد علي العراق:

فكأن الهوي امرؤ علَويّ ظن أني ولِيت قتل الحسين
وكأني لديه نجل زياد فهو يختار أوجع القتلين

وقول ابن الرومي في صياد:

تستأنس الطير إلي قوسه كأنها محراب داود

فقد أشار إلى ما يروي أن داود _ عليه السلام _ لحلاوة نغمته كانت الوحش والطير تعكف عليه إذا قام في محرابه يقرأ الزبور.

وقول البحتري في بركة المتوكل:

كأن جنَّ سليمان الذين ولَوا إبداعها فأدقُّوا في معانيها

وقول صبري في الأهرام:

كأنها والعوادي في جوانبها صرعي بناء شياطين لشيطان

وهو أبلغ من البيت السابق لأنه زاد عليهم بأنها تصرع الحوادث بقوة بنائها وإحكامها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول شاعر كوفي:

بكت دار بشر شجوها أن تبدّلت هلال بن قَعقاع ببشر بن غالب
وما هي إلا كالعروس تنقّلت على رغمها من هاشم في محارب

فالشاعر يحكي ما كان سائداً عند العرب من رمي بعض القبائل بالخسة مثل محارب وسلول وجَرم وباهلة وعاملة.

وقول شاعر يشير في شعره إلي ما روي عن مجنون ليلي أنه في توحده بالقفار كان يخط بيده علي الرمل، يقول:

وتُركيٍّ نقي الخد ألمعي بقد ماس كالغصن الرطيب
له شعر حكي مجنون ليلي يَخُط إذا مشي فوق الكثيب

وشاعر آخر يهجو إنسانا فيصفه بالبخل عن طريق ما كان سائداً آنذاك بأن مَن يوصف بنظافة المطبخ والطباخ يكون دليلاً علي عدم الطبخ وانقطاع الضيوف فيقول:

مطبخ داود في نظافته أشبه بعرش بلقيس
ثياب طباخه إذا انسخت. أنقي بياضا من القراطيس

أو قد يكون عنصر التشبيه من الاعتقادات الشائعة كقول الشاعر:

لقاؤك للمبكر يوم سوء ووجهك أربعاء لا تدور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمراد بالأربعاء: أربعاء آخر الشهر وقد ورد أنها نحس.

وقول آخر يشير إلي الاعتقاد بأن الشهب المتطايرة ترجم بها الشياطين:

كأن كانوننا سماء والجمر في وسطه نجوم

ونحن جنَّ بحافتيه والشرر الطائر الرجـوم

وقول ابن شرف في رأس أسود علي رمح وقد شبهه بـالغراب الـذي يتـشاءم الناس به وبخاصة الأسود ويعدونه نذير الفراق:

كأن هامته والرمح يحملها غراب بين علي بان النقا نعقا

أو قد يكون عنصر التشبيه من عادات الناس والحيوان. كقول الشاعر فـي وهب بن وهب البَختري:

لكل أخي فضل نصيب من العلا ورأس العلا طرا عقيد الندي وهب

وما ضرَّ وهبا عيب من جحد الندي كما لا يضر البدر بنبحـه الكلـب

فقد أشار إلي رؤية كان يراها الناس آنذاك وهي: أن الكلب إذا أصابه ألـم ورأي ضوء القمر توهم أنه يدفئ كما تدفئ الشمس، فإذا رقد فيه لم يجده دفيئا، فينبح كأنه يضجر منه ويغضب،كما ينبح السحاب إذا ضجر من كثرة مطره [1].

وقول أحمد النسفي يهجو رجلاً:

ينام إذا ما استيقظ الناس للعلا فإن جنَّ ليل فهو يقظان حـارس

كذلك كلب الناس ينعس يومه ويسهر طول الليل والليل دامس

---

(١) شفاء الغليل ص (١٧١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقد أشار إلي عادة الكلب أنه ينام نهاره ويسهر ليله، وكقول الشاعر:

أما تري القطة من ودادها تأكل ما عزّ من أولادها

يشير إلي قول الناس: إن من عادة القطة أن تأكل أولادها إذا اشتد شغفها بهم.

وقول ابن المعتز:

مرَّ بنا تُشرق الطريق به في قد غصن وحسن تمثال

فخلته والعيون تأخذه من كل فج هـــلال شـــوال

وقد جرت العادة أن تستجلي العيون هلال شوال ليتحققوا من يوم العيد الأصغر.

أو يكون عنصر التشبيه من النواميس الطبيعية. كقول مروان بن عبد العزيز وقد نظر إلي لحيته وقد شابت:

ولما رأيت الشيب أيقنت أنه نذير لجسمي بانهدام بنائـــه

إذا ابيض مخضرُّ النبات فإنه دليل علي استحصاده وفنائه

وقول المعري:

والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخيفها مع الكدر

وقول البغدادي النقاش:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطا فذلك أمـــر خفـــي
ألست تري أن ضوء السرا ج له لهب قبل أن ينطفي

وقول صفي الدين الحلي:

إنما هذه القلوب حديد ولذيذ الألفاظ مغناطيس

وقول أبي الفتح البستي:

لئن كسفونا بلا علة وفـــازت قِـــداحهمُ بـــالظَّفَر

فقد يكسف المرءَ مَن دونه كما يكسِف الشمسَ جِرمُ القمر

وقول الشاعر:

إن الجهول تضرني أخلاقه ضررَ السعال لمن به استقساء

وقول شوقي:

لا تحفلي بجناها أو جنايتها الموت بالزَّهر مثل الموت بالفَحمَ

أو قد يكون عنصر التشبيه من مصطلحات العلوم والفنون وأسماء الأشياء وما إليها، مثل قول أبي فراس الحمداني:

تناهض الناس للمعالي لما رأوا نحوها نهوضي
تكلّفوا المكرمات كدًّا تكلُّفَ الشعر للعروضـــي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول المتنبي:

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة أنت البديع الفرد من أبياتها

وقول النفيس القطرسي:

وذي هيئة يزهو بوجه مهندس أموت به في كل يوم وأبعث
محيط بأشكال الملاحة وجهه كأن بـــه إقليدســـا يتحـــدث

وقول أبي علي المهندس:

كأن فؤادي مركز وهم له محيط وأهوائي لديه خطوط

وقول أبي تمام في وصف الخمر:

خرقاء يلعب بالعقول حبابها كتلاعب الأفعال بالأسماء

وقول ابن الخطيب:

ونقطة قلب أصبحت منشأ الهوي ومن نقطة موهومة ينشأ الحظ

وقول ابن شرف في مدح أستاذه علي بن أبي الرجال:

اسم حكاه المسمي في الفعال فقد حاز العَلَيَّيْن من قول ومن عمـــل
الماجد السيد الحر الكريم له كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقول الشاعر:

فلا أكون بينكم عُطاردا لقربه من كره الشمس احترق

وقول ابن جابر يمدح الرسول:

أضفت إلي رحماك نفسي فأصبحت ذنوبي كالتنوين يستوجب الحذفا

وقول البستي:

عُزلت ولم أذنب ولم أك جانيا وهذا لإنصاف الوزير خلاف

حذفت وغيري مثبت في مكانه كأني نون الجمع حين تضاف

وقول الأسمر:

ولا تقف في مهب الريح ملتويا كالواو والياء بل قف وقفة الألف

وغير ذلك كثير الحصر.

وقد عاب بعض النقاد أمثال هذه الاستعمالات ورأي أن ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم، والألفاظ التي يختص بها أهل المهن والعلوم ينبغي ألا تستعمل في الشعر المنظوم والكلام المنثور، ورأي أن لكل صاحب مهنة ألفاظه الخاصة به، وبهذا شرف كلام أبي عثمان الجاحظ لأنه لم يعدل عن ألفاظ الكتاب، وإذا صنف في الكلام لم يخرج عن عبارات المتكلمين[1].

والحق أن الأديب قد وسَّع الله عليه ولا يمكن أن نحبسه في دائرة محدودة لا يخرج منها، فالأدب نتاج بيئة ومرآة عاكسة لها، ومن ثم يستفيد الأدب من

---

(١) انظر سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص (١٥٩، ١٦٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ألوان المعارف والعلوم، وشئون الفكر حتى يكتسب العمق والسعة والتلون والشمول ويجاري الحضارة في تقدمها، ما دام قد صاغ معانيه صياغة أدبية رفيعة.

أكثر عناصر التشبيه وروداً:

المتتبع للآثار الأدبية يلحظ أن هناك عناصر للتشبيه وردت كثيراً، حتى أصبحت متميزة المنزلة، ملحوظة المكانة.

من هذه الأشياء التي وردت كثيراً وصف بعض الجوارح الإنسانية كالعيون التي استفاضت بها أشعار الغزل والنسيب، ونادراً تجد شاعراً يتحدث عن محاسن المرأة ولم يذكر عينيها، وكيف وهما الفاعلتان بالألباب ما تفعل الخمر ، والعيون المحبَّبة إلي العربي الأصيل قبل أن يختلط بالأجانب هي العيون السود النجُل، الوطف الأهداب ، الفاترة الأجفان، الناعسة الألحاظ.

ومن ثم كانت العيون السوداء الكحيلة أعجب وآثر لديهم من العيون الزرق، والخضر، والعسيلة وما إلي ذلك.

أيضاً من العناصر التي كثرت في تشبيهاتهم الحيوان الأليف كالنوق، حيث أفاضوا في وصف أعضائها وسيرها، ونعتها بالنحول، وتشبيهها بالقسي مثل قول الشماخ يصف سيرها:

كأنَّ ذراعيها ذراعي مُدِلَّة بعُيد السِّباب حاولت أن تعذَّرا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شبه ذراعيها وهي تتذرع في سيرها بذراعي امرأة مُدلة علي أهلها ببراءة ساحتها، أو مُدلة بحسن ذراعيها فهي تدمن إظهارهما ليري حسنهما ويُعيد السَّباب: أي في عقب المسابة قامت تعتذر إلي الناس(١).

وقول بَشامة بن الغدير:

كأنَّ يديها إذا أرقلت وقد جُرن ثم اهتدين السبيلا

يدا سابح خرَّ في غمرة وقد شارف الموت إلا قليلا

أي كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الإبل ولزومهن المحجة يدا سابح، فهو أشد لتحريك يده مخافة علي نفسه (٢).

وأيضاً الخيل، وقد سبق أن أشرت إلي أن العرب في جاهليتهم وإسلامهم احتفلوا بالخيل واهتموا بها اهتماماً بالغا حتى نري الجاهلي قد يفضلها علي نفسه وأهله ويلتمس لها أحب الأسماء إليه (٣).

ويرجع ارتباط العربي بالخيل في الجاهلية والإسلام إلي حاجته لها في السلم والحرب، يقول امرؤ القيس في وصف فرسه:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

---

(١) الكامل للمبرد ج٦ ص (٢٥٠) شرح المرصفي.

(٢) أمالي المرتضي ج٣ ص (١٨).

(٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام تحقيق أحمد زكي ص (٦) وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهو يصف فرسه بأنه إذا بدأ الجري لا يكاد يلوي علي شيء، وأن حركته لا تكاد تستقر علي شيء لخفته فهو يكر ويفر ويقبل ويدبر معاً في لحظة خاطفة..... إلخ.

ومن الحيوان الوحشي الذي كثر في تشبيهاتهم الأسد الذي ورد بكثرة في أشعارهم وكثرة الأسماء والصفات التي وضعت له وكثرة الأماكن التي تنسب إليه، فيقول البراق في رثاء أخيه[1]:

عين تجود وقلب واله كمد لمَّا ثوي قي الثري الضرغامة الأسد

وأيضاً كثرت تشبيهاتهم بالغزال والمهاة لما وصفتا به من جمال العين والجيد.

ومن العناصر التي كثرت في التشبيه الطيور كالعُقاب والصقر والطاووس وقد سبق أن أشرت إلي أمثلة كثيرة لذلك.

ومن الأزهار التي كثر استعمالها في الوصف والتشبيه الورد والنرجس وشقائق النعمان.

وكان ابن بابك يقول في الورد: هو در أبيض، وياقوت أحمر، علي كراسي زبرجد أخضر، تتوسطه شذور من ذهب أصفر، له رقة الخمر، ونفحات العطر.

وقد أخذه محمد بن عبد الله بن طاهر فقال:

كأنهن يواقيت يطيف بها زمردٌ وسطه شَذْر من الذهب
فاشرب علي منظر مستظرف حسن من خمرة مُزّة كالجمر في اللهب

---

(١) شعراء النصرانية ص (١٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكان كسري أنو شروان مستهتراً بالنرجس، وكان يقول عنه: هو ياقوت أصفر بين در أبيض، علي زمرد أخضر.

وفي الشقائق يقول البحتري:

شقائق يحملن الندي فكأنه دموع التصابي في خدود الخرائد

والشقائق والسقيق والشقر بكسر القاف بمعني واحد، وسميت بذلك لحمرتها تشبيها لها بشقيقة البرق، وقيل:النعمان اسم الدم وشقائقه قطعه فشبهت حمرتها بحمرة الدم، ويقال: إنما أضيفت إلي النعمان ابن المنذر لأنه حمى أرضا كثر فيها هذا النبات.

ومن النباتات التي اتخذت عناصر للتشبيه النخيل، وشجر الدوم، والكروم والحماط (العنب والتين) والتفاح والرمان.

وشبه الشعراء الجاهلون اليوادج في شموخها وارتفاعها وانضمامها علي الحسان الجميلات بالنخيل الذي يرتفع في الأجواء، ويهتز مع الهواء وتحمل التمر الحلو.

يقول عبيد بن الأبرص[1]:

كأن ظعنهم نخل موسقة سود ذوائبها بالحمل مكمومة

كما

شبه امرؤ القيس شعر الحسناء الغزير الطويل المتداخل بعضه في بعض والمتدلي علي الظهر بعذق النخل الممتلئ فقال[2]:

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ص (٣).

(٢) مختار ابن الشجري ج٢ ص (٤٤)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو الخلة المتعثكل

وكما شبه الشعراء الهوادج بالنخيل في العلو والارتفاع، كـذلك شـبهوها بشجر الدوم الذي يحاكي النخيل ارتفاعا وعلواً.

يقول امرؤ القيس:

فشبهتهم في الآل لما تكمشوا حدائق دوم أو سفيناً مقيرا

تكمشوا: أي جدوا في سيرهم، ومقيراً: مطلي بالقار.

أيضاً وصف الشعراء الكرم (العنب)، والحماط (التين) في أشعارهم فقال أمية بن أبي الصلت[1]:

فأنبتنا خضارم ناضرات يكون نتاجها عنبا وتينا

ومعني أنبتنا زرعنا، وخضارم حدائق وبساتين.

وأيضا كان للأجرام السماوية دور في إثراء عناصر التشبيه وصوره، ومن هذه الأجرام: الشمس والقمر، ويشبه بهما الزوجان، وأول من صنع ذلك عـدي بن القاع العاملي، ومنه أخذ الشعراء هذا التشبيه وأكثروا[2].

---

(١) الأصمعيات ص (١٩٩)

(٢) ثمار القلوب ص (٢٣٩). الثعالبي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال ابن الرومي:

بدر وشمس ولدا كوكبا أقسمت بالله لقد أنجبا
تبارك الله وسبحانه أي شهاب منهما أثقبا
ثلاثة تشرق أنوارها لا بُدِّلت من مشرق مغربا

ومن الأجرام السماوية ــ أيضاً ــ الثريا، والهلال، يقول الباقلاني: أنت تعلم أنه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين في وصف شيء من النجوم مثل ما وصف في الثريا، وكلٌ قد أبدع فيه وأحسن[1].

فمن ذلك قول ذي الرمة:

وردت اعتسافا والثريا كأنها علي قمة الرأس ابن ماء مُحلِّق

والهلال من العناصر التي أكثر من ذكرها الشعراء والكتاب في التشبيه[2].

ومن أجمل ما جاء فيه قول ابن المعتز ــ وقد أكثر من تشبيهه ــ:

وهلال شوال يلو ضياؤه وبنات نعش وُقّف بإزائه
كبنانة من مُخلص لما رأى وجه الوزير دعا بطول بقائه

أيضا من العناصر التي كثر التشبيه بها البحر والسفن والنار والقلم، والنعل.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص (١٤٠).
(٢) خزانة الأدب للحموي ص (٢١٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما البحر فذو صفات عديدة بالنسبة للعربي فهو ينبوع الخير،ومصدر الرخاء والثروة، وهو ذو موج عال صاخب مفزع أحيانا، ومن هنا مثل الكرم في خيال العربي وهو والشجاعة يؤلفان خلق الفتوة التي عرف بها العرب، ويضرب به المثل في غزارة العلم، فيقال فلان كالبحر في غزارة العلم، أو في الجود.

ويصف امرؤ القيس ليله وظلامه بالبحر وأمواجه فيقول:

وليل كموج البحر أرخي سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

أما السفن فقد شبه بعض الشعراء ارتحال الرحل في الصحراء بالسفن المرتحلة في البحر لما بين الصورتين من تشابه التحمل والثقل.

يقول النابغة:

كأن الظعن حين طفون ظهراً سفين البحر يممن القراحا

أما النار فقد كانت العرب إذا تحالفت تحالفت عليها، ويدعون علي من يغدر وينقض العهد بالحرمان من منافعها [1].

ويقولون: شراب كأنه النار، وإذا وصفوا بالذكاء قالوا: ما هو إلا نار[2]، ويقول ابن المعتز مشبها فرسه في عدوه بالنار:

طُوي الشحم علي متنتيه مثلما يطوي القباطي تَجْر

فهو نار والتراب دخان مستطير وحصي الأرض جَمْر

أما القلم فقد فضله ابن الرومي علي السيف فقال:

---

(١) ديوان المعاني ج ١ ص (٢٨٦، ٢٨٧).

(٢) الحيوان للجاحظ ص (٣٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كذا قضي الله للأقدام مذ بريت أن السيوف لها مُذ أرهفت خدم

وكان للنعل ــ علي حطة قدرها ــ نصيب من التشبيه، فقد وقع تشبيهها بالمطية والراحلة كثيرا في شعر العرب من المتقدمين والمتأخرين، فمن قول بعض العرب:

رواحلنا ستٌّ ونحن ثلاثة نُجنِّبهن الماء في كل منزل

فجعل من الرواحل النعال، وقول أبي نواس:

إليك أبا العباس من دون مَن مشي عليها امتطينا الحضرميَّ المُلَسَّنا

قلائص لم تعرف حنينا علي طلاً ولم تدر ماقُرع الفنيق ولا الهنا

الطَّلا بفتح الطاء: ولد الظبية ساعة يولد، والفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي ولا يركب، والهِنا بالكسر: القطران، فالشاعر يشبه نعالهم بالنوق الشواب التي لم تر أم ولداً، ولم يقربها الفحل، ولم تدهن بالقطران.

هذه أكثر العناصر وروداً في التشبيه فيما أعلم، وإن كان هناك عناصر أخري إلاَّ أنها لم تكن بهذه الكثرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

تفاوت الشعراء في التشبيه والوصف

التشبيه ـ كما قلت سابقا ـ فن من فنون الكلام، وعنصر من عناصر الأسلوب يرسم صورة للحس والشعور، فينتقل المعني في وضوح كأننا نراه بأبصارنا ونلمسه بأصابعنا، ويعد التشبيه " من أشرف كلام العرب وفيه تكون الفطنة والبراعة ".

ولمّا كان التشبيه بتلك المنزلة العالية، والشرف الرفيع في الكلام، كان من الخطأ الظنُّ أنه سهل ميسور لكل الشعراء، وأنهم فيه علي السواء لا يقع بينهم التفاوت في تعاطيه.

وعلي هذا نجد من الشعراء من يجيد التشبيه مطلقاً فضلاً علي ما عُرف به من السبق في تشبيه أشياء خاصة.

ومنهم من تميز في تشبيه أشياء بعينها حتى اشتهر بها، والنوع الأول: ممّن أجاد في التشبيه علي الإطلاق امرؤ القيس في العصر الجاهلي، وذو الرمة في العصر الإسلامي. يقول حمّاد الراوية: امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيها، وذو الرمة أحسن الإسلام تشبيهاً [1].

ويقول العسكري: أجمعت العرب علي أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهاً [2].

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه[3].

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ص (٢٦، ٢٧).

(٢) ديوان المعاني ج٢ ص (١٤٧).

(٣) العمدة لابن رشيق ص (١٨٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل: ليس لأحد من شعراء العرب في نعت محاسن النساء من الأوصاف البارعة مع جودة السبك، ورقة اللفظ ما لذي الرمة حتى كأنه حضري من أهل المدن لا من أهل الوبر[1].

ويُعدُّ الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس من أكثر المحدثين تشبيهاً في العصر العباسي الأول لاتساعه في القول، وكثرة تفننه، واتساع مذاهبه، وجودة تشبيهاته.

أما في العصر العباسي الثاني فابن المعتز الذي وهبه الله عبقرية التشبيه، وقد أفاض النقاد في الثناء علي تشبيهاته البديعة التي تشبه السحر.

يقول الباقلاني: وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البليغ الذي يشبه السحر، وقد تتبع في هذا ما لم يتتبع غيره، واتفق له ما لم يتفق لسواه من الشعراء، وأورد أمثلة عديدة من تشبيهات ابن المعتز منها[2]:

وتري الثريا في السماء كأنها بيضات أدحي يلحن بفدفد

وقوله:

كأن الثريا في أواخر ليلها تَفَتُّح نَوْرٌ أو لجام مفضفض

ويقول الإمام عبد القاهر في براعة ابن المعتز في التشبيه المحسوس وكل ما لا يوجد الشبه فيه من طريق التأول، يقول: " وكذلك تقول: ابن المعتز حَسَنٌ

---

(١) المستطرف ص (٢٢).

(٢) أعجاز القرآن للباقلاني ص (٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التشبيهات بديعها، لأنك تعني تشبيهه المبصرات بعضها ببعض وكلَّ ما لا يوجد الشبه فيه من طريق التأول كقوله:

كأنَّ عُيون النرجسِ الغَضِّ حَوْلَها مَداهِنُ دُرٍّ حَشْوهُنَّ عَقِيقُ

وقوله:

وأَريَ الثُّريَّا في السماء كأنَّها قَدَمٌ تَبدَّت من ثِيابِ حِدادِ

إلي أن قال: وما كان من هذا الجنس ولا تريد نحو قوله:

اصبر علي مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنـــار تأكـــل نفـــسها إن لم تجد ما تأكله

وذلك أن إحسانه في النوع الأول أكثر وهو به أشهر، وكل ما لا يصلح أن يسمّي تمثيلا فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضا، فلا يقال: ابن المعتز حسن الأمثال تريد به نحو الأبيات التي قدمتُها، وإنما يقال: صالح بن عبـد القـدوس كثيـر الأمثال في شعره يراد نحو قوله:

وإنَّ مَنْ ادَّبتَّه في الصِّبا كالعُودِ يُسْقَي الماءَ في غَرْسِهِ
حتى تراه مُورقاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يُبْـسِهِ

وما أشبهه مما الشبه فيه من قبيل ما يجري فيه التأول[1].

---

(١) أسرار البلاغة ص (٨٥، ٨٧) تحقيق هـ ـ ريتر ط ثانية ١٩٧٩ م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد علَّل النقاد لتفوق ابن المعتز علي أقرانه في تشبيهاته البديعة ــ فضلاً عمَّا وهبه الله من عبقرية التشبيه ــ بكونه نشأ في بيت الخلافة وما أحاط به من مظاهر الترف ورغد العيش، وألوان النعيم في قصور الخلافة الناعمة الحافلة بروائع الحضارة المادية ومن ثم تهيأ له من حسن التشبيه ما لم يتهيأ لغيره ممن لم يروا ما رآه ولم يستحدثوا ما استحدثه من نفائس الأشياء وطرائف الآلات، ولهذا كله اعتذر ابن الرومي في قصوره عن بلوغ شأو ابن المعتز في الأوصاف والتشبيهات [1].

ومن النوع الثاني: ــ الذين تفوقوا في تشبيه أشياء بعينها ــ عدد كثيرٌ علي الحصر منه:

١- امرؤ القيس حيث اشتهر بوصف الصيد، يقول في قصيدة " قفا نبك " واصفا ما عرض له من سرب نعاج [2]:

فعَّن لنا سرب كأنَّ نِعاجَه ... عَذَاري دُوَارٍ في مُلَاءٍ مُذَيَّلِ

فأدبرن كالجِزعِ المُفصَّل بينه ... بجيد مُعِمٍّ في العشيرة مُخْوِلِ

فألحقنا بالهاديات ودُونَه ... جَواحِرُها في صَرَّرٍ لم تُزَيَّلِ

فَعَادَي عِداءً بين ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ ... دِراكا ولم يَنْضَحْ بماءٍ فَيُغسَلِ

يصف الشاعر ما عرض له من قطيع من الظباء أو إناث البقر الوحشي التي تشبه العذارى وعند رؤيته أدبرت النعاج كالخرز اليماني الذي فصل بينه بغيره من الجواهر في عنق صبي كَرُم أعمامه وأخواله، فهو يشبه بقر الوحشي بالخرز اليماني لأنه يسودُ طرفه وسائرهُ أبيض، وكذلك بقر الوحشي تسودُ

---

(١) ثمار القلوب ص (١٨٣) ا لثعالبي.

(٢) ديوان امرئ القيس ص (١٨٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكارعها وخدودها وسائرها أبيض، وشرط كونه في جيد معم مخول لأن جواهر قلادة مثل هذا الصبي أعظم من جواهر قلادة غيره، وشرط كونه مفصلا لتفرُّقهن عند رؤيته

ثم يقول: إن هذا الفرس يلحقنا بأوائل الوحشي، ويدع متخلفاته، ثقة بشدة جريه وقوة عدوه، فيدرك أوائلها وأواخرها مجتمعة لم تتفرق بعد.

ثم يبين أنه والي بين ثور ونعجة من بقر الوحشي في مضمار واحد، ولم يعرق عرقا مفرطا يغسل جسده أي أدركها دون معاناة مشقة ومقاساة شدة.

٢- وطرفة بن العبد عرف بوصف الناقة. يقول[١]:

وإني لأمضي الهمَّ عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
أمون كألواح الإران نصأتها علي لاحب كأنه ظهر برجد
جمالية وجناء تردي كأنها سفنجة تبري لأزهر أربد

يصف طرفة ناقته بأنها نشيطة في سيرها ينفذ بها صاحبها همه، مأمونة العثار، قوية العظام تشبه الجمل ضخامة واكتناز لحم.

٣- ووصف المطر اشتهر به امرؤ القيس وأوس بن حجر وعبيد بن الأبرص، فيقول امرؤ القيس:

وتري الشجراء في ريقه ديمه هطلاء فيها وطف كرءوس قطعت فيها الحمر طبق الارض تحري وتدر
تخرج الود إذا ما أشجذت وتواريه إذا ما تشتكر
وتري الضب خفيفا ماهراً ثانيا برثنه ما ينعفر

---

(١) معلقة طرفة في شرح المعلقات السبع للزوزني ص (٤٨ ــ ٥٧)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهو يصف الديمة الهطلاء التي جادت بالغيث بأنها نزلت فطبقت الأرض واستقرت فيها، فتري وتد الخباء يبدو عند سكون الغيث وانحباسه ويختفي عند احتفال المطر فلا يظهر، ولا يري كما أنك تري الضب يثني أصابعه، فلا يلصق بالتراب لخفته وحذقه في العدو، وتري الأرض ذات الشجر وقد غمرها المطر وغطاها حتى لا يكاد يري إلاّ أعاليها، فتبدو كرءوس قطعت ولكنها تهتز كأنها مخمورة، ويقول أوس بن حجر[1]:

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه ... في عارض كبياض الصبح لماح

دان مسف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من لحام بالراح

فمن بنجوته كمن بمحفله ... والمستكن كمن يمشي بقرواح

كأن ريقه لما علا شطبا ... أقراب أبلق ينفي الخيل رماح

فالشاعر هنا يقول أنه يبيت يرقب البرق المتلألئ في سحاب كثيف يملأ الأفق ويكاد يطبق علي الأرض كلها، وغطي جميع جنباتها مرتفعاتها ومنخفضاتها.

ثم نراه يسوق تشبيها رائعا جميلاً حيث يقول: "إن السحاب الداكن والبرق اللامع من خلاله قد غطي جبل " شطب " كأنه فرس محجل سبق الخيل وتكشف منها "، ويقول عبيد بن الأبرص:

---

(١) شعراء النصرانية ص (٤٩٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إني أرقت ولم تأرق معي صاح لمستكف بُعَيْد النوم لواح
يا من لبرق أبيت الليل أرقبه في عارض كمضئ الصبح لماح
دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد بمكة من قام بالمراح
كأن ريقه لما علا شطبا أقراب أبلق بنفي الخيل رماح
فمن بحوزته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشي بقرواح

يصف الشاعر السحاب وما يتخلله من البرق، فيجئ وصفه دقيقا لطول صحبته إياه، فهو لم يذق للنوم طعما في تلك الليلة التي سهر فيها مع صاحبه الذي شاطره السهاد ينظران إلي البرق الذي كان الشاعر يلحظه يلمع خلال السحاب المعترض في الأفق، فكأنه شمس بزغت من الجانب الشرقي فهددت سدف الظلام الحالك، وهو سحاب دان من وجه الأرض حتى لتكاد تقبض عليه الأيدي، وهو يسابق بعضه بعضا في العدو كأن ريقه وأوله حين ارتفع طرائق أو خطوط في متن سيف أو أفخاذ فرس أبلق يتقدم الخيول ويسبقها في العدو ويتفوق عليها معتليا صهوته فارس صاحب رمح.

ومعني أرقت: سهرت، صاح: مرخم صاحب، لمستكف: لسحاب مستدير، بُعيد: تصغير بعد، لوّاح: شديد الوميض واللوجان، العارض: السحاب المعترض في الأفق، كمضئ الصبح: كناية عن الشمس، لماح: لماع، مسف: مار علي وجه الأرض، هيدبه: خيوطه، ريقه: أوله، شطبا: جمع شطبة وهي الطريقة أو الخط في متن السيف ونحوه، الأقراب جمع قرب وهي الخاصرة، الأبلق: الأبيض فيه سواد، رماح: صاحب رمح، ينفي الخيل: كناية عن سبقه وتفوقه عليها، حوزته: ناحيته، العقوة: الساحة، المستكن: المختبئ، القرواح: الأرض البارزة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- أيضا اشتهر امرؤ القيس بالتشبيه بالنخيل. يقول في قصيدة بعنوان (ألا انعم صباحاً) [١]:

أَلاَ انْعَمْ صَبَاحًا أيُّها الرَّبْعُ وانطِـقِ وحَدِّثْ حَدِيثَالرَّكْبِ إن شئت فاصـدُقِ
وحَدِّثْ بأنْ زَالَـتْ بِلَيْـلِ حُمُـولُهُمْ كَنَخْلٍ مِنَ الأَعْـرَاضِ غيـرِ مُنَبَّـقِ

انعَمْ صباحاً، وعِم صباحاً: من تحيات العرب في الجاهلية، والحُمول الإبل التي يُحتمل عليها، والأعراض جمع عرض وهو الوادي فيـه قـري ونخيـل، وأعراض الحجاز: رساتيقه، ونخل منبّق أي مصطفّ علي سطر مستوٍ، وغيـر منبق معناه هنا غير بالغ.

فالشاعر يشبه الإبل التي حملت القوم وزالت بليل، كانت تلك الإبل مصطفة مجموعات كنخل غير بالغ، أي نخل صغير، فهو بذلك يرسـم صـورة للإبـل الحاملة للهوادج وفيها النساء بصورة النخل الصغير وعليه الجريد.

كما شبه امرؤ القيس شعر الحسناء الغزير الطويل المتداخل بعـضه فـي بعض والمتدلي علي الظهر بعذق النخل الممتلئ. فقال[٢]:

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أسودَ فاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

٥- ووصف حمر الوحش والقوس عرف به الشماخ حيث يقول[٣]:

متي ما يسف خيشومة فوق تلعـة مصامة أعيار من الصيف ينشج

---

(١) ديوان امرئ القيس ص (١٤٧).
(٢) الديوان ص (٣٩).
(٣) ديوان الشماخ بن ضرار وشرح القصائد السبع للزوزني ص (٥٤١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهو يصف حمار الوحش بأنه إذا شمَّ أرواث الأعيار في الصيف نشج وتهيأ للنهاق، فجاءت الصورة غاية في الدقة والبراعة.

٦- ووصف البوادي والجمال والحرباء غرف به ذو الرمة، ومن بدائعه قوله في الحرباء:

ودَوِّية جرداء جداء خيَّمت بها هَبَواتُ الصيف من كل جانب

كأن يدي حربائها متمسكا يدا مذنب يستغفر الله تائب

والدوية: الفلاة، والهبوات: جمع هبوة الغبرة.

٧- ووصف الخمر عرف به الأعشي والأخطل وأبو الشيص وأبو نواس، ووصف النساء عرف به الأخطل وعمر بن أبي ربيعة، وكذلك الشباب، ووصف الخيل عرف به امرؤ القيس، وأبو داود الإيادي، والنابغة الجعدي وطفيل الغنوي والنميري وأبو تمام والبحتري والمتنبي.

وكان طفيل الغنوي يلقب بطفيل الخيل لحسن وصفه لها، وكان عبد الملك بن مروان يقول: من أراد أن يتعلم ركوب الخيل فليروا شعر طفيل[١]

أما المتنبي فقد ذكر الخيل في كثير من شعره وكان يؤثرها علي الإبل، لما يقوم في نفسه من التهيب بذكر الخيل وتعاطي الشجاعة[٢]، وغير أولئك من الشعراء كثير.

---

(١) الشعر والشعراء ص (٢٧٥).

(٢) العمدة ص (١٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

تجديد عناصر التشبيه وتطوير صوره

لقد فضّل الله الإنسان علي سائر المخلوقات بنعمة البيان . فقال ــ سبحانه ــ في سورة الرحمن (الرحمن علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان)، وجعل له لسانا فصيحاً يعبر به عن خبيئة نفسه ومراده، ولله در القائل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان علي الفؤاد دليلاً

واللغة علي اختلافها تعد وسيلة تعبير عن المراد ويشترك في ذلك جميع الناس.

والتشبيه تعبير صادق عن أحاسيس النفس يصورها في عبارة بيانية تأخذ الألباب حينما يسمو التعبير وتعمق الصورة ويدق مأخذها.

والناس بما أودعه الله فيهم من فطرة مسوقون إلي التشبيه لأنه يصور أحاسيسهم بأقرب الطرق في الوصول بالمعني إلي النفس يستوي في ذلك العامة والخاصة، والعالم والجاهل، فهم جميعاً يعيشون في الطبيعة ومشاهد الكون متاحة لهم علي حد سواء، ويرون صوراً من حولهم، ويقرنها كل منهم بالصورة التي تروقه وتعجبه وتقع تحت حسه فيبرزها عن طريق تشبيهها بأخرى أعجبته معملاً في ذلك ذوقه الخاص به، ومن ثم نجد تشبيهات العامة مما يدور في حياتهم اليومية، أو ما يشتهونه من أنواع المأكل والملبس فيلحقون الأشياء التي تحت أيديهم بأشياء أخري لهم بها ولع خاص أو بصورة ينفرون منها فيلحقون بها ما يكرهون.

أما تشبيهات أهل الأدب والبيان فلها ذوق خاص، فيها تأنق وتروي، يغوصون إلي المعاني الدقيقة التي تربط بين أجزاء الصور التي تحت أيديهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويحسون جمالها ويلحقون بها الأشياء حتى تبدو جميلة الوقع في النفس، لأنها صورة أعمل فيها الفكر عند انتزاعها للتشبيه بها.

لذلك حين سئل بشار: بم فقت أهل عمرك وسبقت أهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه ؟ فقال: لأني لا أقبل كل ما تورده علي قريحتي، ويناجيني بها طبعي، ويبعثه فكري، ونظرت إلي مغارس الفطن، ومعادن الحقائق، ولطائف التشبيهات، فسرت إليها بفهم جيد، وغريزة قوية، فأحكمت سبرها، وانتقيت حُرَّها وكشفت حقائقها، واحترزت من متكلفها، ولا والله ما ملك قيادي قط الإعجاب بشيء مما آتي به [1].

ولذلك لما هجاه حماد عجرد وهو شاعر من الموالي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كانت بينه وبين بشار أهاج فاحشة منها قوله:

وأعمي يشبه القرد إذا ما عمي القرد

فقال بشار: ما حيلتي ؟ يراني فيشبهني، ولا أراه فأشبهه، وبكي بشار، فقال قائل: أتبكي من هجاء حماد ؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفه [2].

إذن فالتشبيه يستمد عناصره، وصوره من الواقع المعاش، ومن ثم لا يمكن أن تكون صورة البيان ومنها صور التشبيه جامدة ثابتة علي هيئة واحدة في كل زمان ومكان، بل لا بُدَّ أن تتجدَّد تبعاً لتجدُّد الزمان والمكان، فالحياة تتطور، وملامحها كذلك تتطور وتختلف عن السابق.

---

(١) زهر الآداب ج١ ص (١١٩).

(٢) الأغاني ج١٤ ص (٣٢٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا يعقل أن تتطور ملامح الحياة بما فيها من عادات وأخلاق ونظم وقوانين وعقول وأفكار وأحوال ومعيشة وتبقي اللغة المعبرة عن ذلك جامدة.

والصور البيانية بطبيعتها المرنة مجال واسع للتجديد، وتربة خصبة للإبداع والاختراع، والمتتبع لها في عصورها المختلفة يلحظ ذلك واضحاً.

فمثلاً طرفة بن العبد يصف السفينة في زمانه فيقول في قصيدة له بعنوان (أطلال خولة) [1]:

كَأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدوةً ... خَلايا سَفينٍ بالنَّواصِفِ مِن دَدِ

عَدَوْلِيَّةٌ أوْ مِن سَفينِ ابنِ يَامنِ ... يجُورُ بِها المَلاَّحُ طَوراً وَيَهْتَدِي

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيزُمُها بهَا ... كَما قَسَمَ التُّربَ المُفايِلُ باليَدِ

الحُدُوجُ: مفردها الحدج وهو مركب النساء: والمالكية: الحدوج المنسوبة إلي بني مالك، والخلايا: مفردها الخلية وهي السفينة الكبيرة: والنواصف: مفردها الناصفة وهي الباحة الواسعة، والدد: اللهو واللعب.

والعَدَوْلية: الإبل المنسوبة إلي عَدَوْلي وهي قرية في البحرين، وابن يامن: رجل عَدَوْلي اشتهر بصنع السفن، ويجور: يبتعد عن الطريق.

والحَبَاب: مفردها الحبابة وهي الموجة، والحيزوم: الصدر، والتُّرب: التراب، والمُفايل: الذي يلعب بالتراب فيدفن شيئا فيه ثم يقسمه قسمين ويسأل عن الشئ المخبأ في أي قسم صار، فمن أصاب غَلَب، ومن أخطأ غُلب.

فالشاعر يصف السفينة في سيرها وشقها الماء، وكيف أنها تضل بملاحها طوراً في البحر، وطوراً تهتدي،

---

(١) ديوان طرفة تقديم مهدي محمد ناصر الدين ص (١٩) ط بيروت ١٩٨٧م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي البيت الثالث شبّه شقّ السفينة بصدرها الماء بشق المفايل بيده التراب المجموع، وهذا الوصف يدل علي أن هذه السفينة كانت صغيرة الحجم، ضعيفة السير، بدائية الصنع، هشّة القوي حتى إن شقها الماء كشق المفايل التراب.

ثم تمر السنون والأعوام وتتطور صناعة السفن حتى تصير مدنا عائمة علي البحر تتبختر وتختال، فتقطع المسافات الشاسعة في زمن قصير لا يؤثر فيها هواء غاضب، ولا بحر هائج، فيقول الشاعر واصفا تلك السفن:

تجرُّ في اليم أذيالاً مصبغة كالخود تختال في أذيال جلباب

فيصورها في صورة الخَوْدِ وهي الشابة الناعمة الحسنة الخلق التي تَجرُّ في اليَمِّ ثياباً مصبغة طويلة تختال فوق الماء اختيالاً، غير مبالية بغضب الماء والهواء.

أرأيت الفرق بين سفينة طرفة التي احتفي بذكرها في معلقته الخالدة التي لا تعد شيئا بجانب هذه السفينة العظيمة التي وصفها الشاعر، تأمل كيف تغيرت الصورة وأصبحت جديدة.

وأيضاً يتحدث شوقي في نفس المعني واصفاً ما أمدته الحضارة والعلم لتلك السفن من تطوير، وما نتج عن ذلك من أسباب الراحة والترف فيقول:

والفلكُ مُشْرِقَةُ الجَوانبِ في الدُّجي يَبْدُو لها ذَيْلٌ من الأنوار

بينا تخطَّر في لجين مائجٍ إذ تنثني في عسجد زخَّار

وكذلك حافظ إبراهيم يصف قوة السفينة وهي تتصدي للبحر الهائج فيقول في قصيدة بعنوان " رحلته إلي إيطاليا " [1]:

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ص (٢٢٧) دار العودة. بيروت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَاصِفٌ يَرْتَمي وبِحْـرٌ يُغيـرْ أنا بـالله منهمـا مُـسْتَجيرْ
وكأنَّ الأمواجَ وهـي تَـوالَيَ مُحْنقاتٍ أشْجانُ نَفْسَ تثـوُرْ
أزْبَدَتْ ثم جَرْجَرْتَ ثم ثَـارَتْ ثم فارت كما تفـور القـدُور
ثم أوفت مثل الجبل علي الفلـ ـك وللفلك عزمة لا تخـور

تترامـي بجُؤجُـؤ لا يُبـالي أميـاهٌ تحوطـه أم صُـخور
أزعجَ البحر جانبيها من الـشدِّ فجنبٌ يعلو وجنـب يغـور
وهو آناًينحط من علو كالسيـ ـل وآناً يحوطها منه سُـورُ
وهي تَزْوَرُّ كـالجواد إذا مـا ساقه للطعان نَـدْبٌ جَـسُورُ
وعليهـا نفوسُـنا خـائرات جَازعاتٌ كادَتْ شَعَاعا تَطيرُ

يصف الشاعر رحلة السلطان حسين كامل إلي إيطاليا وكان مصاحبا له في تلك الرحلة وما حدث من هياج للبحر وكأنه يغير وأمواجه وهي تتوالي أشجان تهيج، ثم أزبدت وجعلت الرغوة تعلو الماء وكأنها تغلي ثم صـوتت وأحـدثت جلبة، ثم ثارت ثم فارت كما تفور القدور ثم أشرقت مثل الجبل علي الفلـك، إلاَّ أن للفلك عزمة وقوة لا تضعف فهي تترامي بجؤجؤ أي بصدرها لا تبالي أمياهٌ تحوطها أم صخور ومن ثم انزعج البحر أمام تماسكها رغم ارتفاع جانب منها وانخفاض الآخر، وكذلك تنحرف لتتفادى الأمواج كما يفعل الجواد إذا ما تعرض للطعن والضرب.

وأيضاً من مظاهر التجديد في عناصر التشبيه وصوره أن العـرب قـديماً كانت تكره زرقة العين وتنكرها، لأنها لم تكن معهودة في عيونهم ولأنهم كانوا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرونها في عيون الروم أعدائهم، فكانوا يعيرون الرجل بأنه أزرق ويصفون العدو بأنه أزرق.

ومن ذلك قول الحماسي:

فَمُرًّا علي أهل الغَضَا إنَّ بالغضا رَقاقَ لا زُرقَ العُيون ولا رُمدا

ومن رسالة المفَاخرة بين السيف والقلم قول القلم للسيف: أين عينك الزرقاء من عيني الكحيلة [1].

هذا الإنكار لزرقة العين وبغضها حمل بعض الشعراء علي أن يبرر لزرقة عيون محبوبته ويوجد وجها يجمّل هذا اللون في العيون فقال:

وعابوه أن قالوا بعينيه زرقة كذلك عِتاقُ الطير زرق

ولكن لما اتسعت الفتوحات الإسلامية، ورأي العرب نساء العجم من الروميات وغيرهن بوجههن الشقر، وشعورهن الصفر، وعيونهن الزرق، تحوّل عنده العيب إلي مظهر من مظاهر الجمال الذي بهرهم وفتنوا به فراحوا يذكرونه ويمدحونه في كلامهم شعراً ونثراً، يقول الشاعر:

يا من هو الماء في تكوين رقته ومن هو الخمر في أفعال مقلته

ومن بزرقه سيف اللحظ طلَّ دمي والسيف ما فخره إلاَّ بزرقته

تأمل كيف صار اللون الممقوت إلي لون محبوب يمتدح بل صار عنصراً من عناصر الاجتذاب عند المرأة، وسلاحاً لها نافذاً في قلب عاشقها كما أشار الشاعر، وجعله سبباً في طلِّ دمه وإباحته.

---

(١) خزانة الأدب للحموي ص (١٣٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأيضاً كان قديما الشعر الأسود هو المرغوب، ويعد مقوماً من مقومات جمال المرأة، فوصفوه ومدحوه، فمثلاً يقول امرؤ القيس:

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتنَ أسْوَدَفاحِمٍ أثيثٍ كَقِنوِ النَّخلَةِ المُتَعَثكِلِ

غَدائِرُهُ مُستَشْزِرَاتٌ إلي العُلا تَضِلُّ العِقاصُ في مُثَّني ومُرْسَلِ

ولكن تبعاً لذلك الاختلاط بالأجانب والانفتاح علي الآخرين أحب العرب الشعور الصفر والحمر فقال أحدهم:

وفَرْعٍ يَزِينُ المَتَن يحكي اصفرارُه سَنابِلَ قَمْحٍ لم يَتَمَّ نُضُوجُها

وقال الآخر:

عِبْتُم من المحبوب حُمْرَةَ شَعْرِه وأظنكم بدليله لم تشعروا

لا تُنكِرُوا ما احمرَّ منه فإنه بِدماءِ أرْبَابِ الغَرَام مُضفّر

يقول ابن حزم " أما جماعة خلفاء بني مروان ولاسيما ولد الناصر منهم فكلهم مجبولون علي تفضيل الشقرة، ولقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلي الآن، فما منهم إلا الأشقر نزاعاً إلي أمهاتهم حتى قد صار ذلك فيهم خلقة حاشا سليمان الظافر فإني رأيته أسود اللمة واللحية ".

ثم يقول: " دعني أخبرك: أنني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر، فما استحسنت من ذلك الوقت سواد الشعر ولو أنه علي الشمس أو علي صورة الحسن نفسه " (١).

وكانوا قديماً يصورون طول الليل بعناصر تناسب حياتهم البدوية، فمرة كانوا يصفونه بأنه ليس له نهار، ومرة بأنه بطئ الكواكب، ومرة كموج البحر

---

(١) طوق الحمامة ص (٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه العناصر كانت أقرب الأشياء إلي حواسهم، لأن ساكن الصحراء يتعامل مع الكواكب التي من خلالها يهتدي إلي طريقه الصحيح، وبها يعرف التوقيت، أيضاً البحر الذي كان وسيلة من وسائل سفره وهكذا.

يقول المهلهل بن ربيعة [1]:

وصار الليل مشتملاً علينـــا كأن الليل ليس له نهـــار

وبت أراقب الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار

ويلح النابغة الذبياني في تعقب الليل، وانبلاج صبحه، ويصل به التعقب إلي أن يتخيل أن راعي هذه النجوم لن يرجع ليسترد رعيته، فيخاطب ابنته بقوله[2]:

كليني لهم يا أميمـــة ناصـــب وليل أقاســـيه بطـــئ الكواكـــب

تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعي النجوم بآيب

وهذا ليل امرئ القيس الذي ترادف علي الشاعر كموج البحـــر، وكأنـــه لا نهاية له، فلقد أرخي سدوله، وأسدل أستاره الحالكة ليبتلي الـــشاعر بـــضروب الشدائد وصنوف النوائب. فقال الشاعر[3]:

---

(٢) ديوانه ص (٥٦).

(٣) ديوانه ص (٢٩). دار الكتب العلمية. بيروت.

(١) ديوانه ص(٤٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليل كموج البحر أرخي سدوله علي بـأنواع الهمـوم ليبتلـي
فقلت له لمـا تمطـي بـصلبه وأردف أعجازاً ونـاء بكلكـل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجـل بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فيالك من ليـل كـأن نجومـه بأمراس كتان إلي صُـمّ جنـدل

أما في العصر الحديث فقد صُوِّر طول الليل بصورة أخري تناسب أحوال هذا العصر، فمثلاً يقول حافظ إبراهيم في قصيدة له بعنوان " طول الليل "[1]:

يا ساهِدَ النِّجم هَلْ للصُّبحِ من خَبَرِ إنِّي أَرَاكَ علي شئٍ مـن الـضَّجَرِ
أَظنُّ لَيْلَك مُـذْ طَـالَ المُقـامُ بِـه كالقَوْمِ في مِصرَ لا يَنْوِي علي سَفَرِ

الساهد بمعني الساهر، ويريد بالقوم: الإنجليـز، والـضمير فـي الفعـل (ينوي) يعود إلي الليل، فالشاعر يشبه الليل بجيش الاحتلال في مصر في طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل علي الجلاء.

ومن الصفات المحمودة قديماً والمحبوبة لديهم السمن في النساء ويعدونـه آية الجمال والملاحة، وسمة النعمة والغني، وشارة الترف والرفاهية، وأكثـروا من وصف ذلك كقول عمرو بن كلثوم:

تريك إذا دخلت علي خَلاء وقد أَمِنَتْ عيون الكاشحينا
ذراعيْ عيطل أدماء بكـر هجان اللون لم تقرأ جنينـا
ومأكمة بضيق الباب عنهـا وكشحا قد جننت به جنونا
وساريتيْ بَلـنط أم رُخـام يرنّ خشاش حليهما رنينـا

---

(٢) ديوانه ص (٢٣٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول: تريك إذا دخلت عليها وقت خلوة أمنت فيها عيون الرقباء والأعداء، تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة بيضاء العنق لم تلد بعد، وتريك وركاً لا يتسع الباب لدخولهما لعظمها، وضخامتها وامتلائها باللحم والشحم، وكشحاً جننت بحسنه وتريك ساقين كأسطوانتين من عاج أو رخام بياضا وضخامة تصوِّت خلاخيلها

ومثل قول عمر بن أبي ربيعة يصف امرأة تثقلها أردافها عند المشي حتى تصاب بالبُهر والإعياء والربو إذا خطت قدر الباع، يقول[1]:

قَطوفٌ من الحُور الأوانِس بالضُّحا متى تمشِ قِيسَ البَّاعُ من بُهْرِها تَرْبُو

ويقول آخر:

وماجت كموج البحر بين ثيابها يميل بها شطر ويعدلها شطر

وجمال المرأة العصرية يكون إذا كانت قليلة اللحم، ممشوقة العود، مجدولة رشيقة،خفيفة الحركة، كثيرة النشاط، غير نؤوم الضحى ولا مكسال ليست كما يصورها امرؤ القيس[2]:

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضُّل

يقول: تصادف العشيقة الضحى ودقاق المسك فوق فراشها الذي باتت عليه، وهي كثيرة النوم في وقت الضحى، ولا تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة، يريد أنها مخدومة منعمة تُخدم ولا تَّخدم.

---

(١) ديوانه ص (٣٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م.

(٢) ديوانه ص (٤٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكن المرأة العصرية يصورها شوقي في قصيدته (أثر البال في البال)[1]:

فالقدود بان رُبـاً بيـد أنهـا تثـب
يلعب العناق بها وهو مشفق حَدِب
فهي مرة صُـعُد وهي مرة صَـبَب
وهي ههنا وهنـا تلتقي وتصطحب
مثلما التقت اسَل أو تعانقت قُـضب

إلي أن قال:

والحضور واهية بالبنـان تنجـذب
سالت الأكف بها فهي أغْصُن نُهَب

ويقول بعض العرب ــ يصف الناقة علي قطار الإبل ــ:

تنسل مُنها إذا تدانين مِثْلَ انسلال الماء من جفن العين

وجاء أبو نواس فقال:

تَذَرُ المطيَّ وَراءَها وكأنَّها صفٌ تَقَدَّمَهُنَّ وهي إمامُ

(١) الشوقيات ج٢ ص (٨). أحمد شوقي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال بعده ابن المعتز:

فهي أمامَ الرَّكْبِ في ذَهّابِها كسُطرِ بسم الله في كِتَابِها

نلاحظ أن أبا نواس، ابن المعتز استلهما في تجديدهما لعناصر التشبيه البيئة الإسلامية.

وعمرو بن كلثوم شبه النهد بحُقِّ العاج في قوله:

وثديا مثل حُق العاج رَخصا حَصانا من أكف اللامسينا

واتبعه الشعراء في ذلك فقال ابن الرومي:

صدور فوقهن حِقاق عـــاج وحلي زانـــه حـــسن اتـــساق
يقول الناظرون إذا رأوهـــا أهذا الحلي من هذي الحقـــاق
وما تلك الحقاق سوي ثـــدي قدرن من الحقاق علي وفـــاق
نواهد لا يعـــدُ لهـــن عيـــب سوي منع المحب من العناق

وقال عبد الله بن أبي السَّمط:

كأن الثُّدِيَّ إذا ما بَـــدَتْ وَزَانَ العُقودُ بهنَّ النُّحورَا
حِقاقٌ مِن العَاجِ مكنونة يسعن من الدُّرِّ شيئا كثيرا

وفي رواية:

حقاق من الدر مخروطة يسعنْ من المسك شيئا يسيرا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلي كلا الروايتين نري سمة التجدد واضحة، فقد اتسع الوصف وشمل أشياء أخري، وأصبح طريفا دقيقا، فبعد أن كانت الثديُ حقاق عاج أصبحت حقاق عاج مملوءة بالدر، أو حقاق عاج تتسع لشيء قليل من المسك ــ يزيد حلمة الثَّدْيِّ ــ وهو تفصيل مستوعب جميل.

وجا تشبيه النهد بالرمان كقول البحتري:

ولقد تبيت أناملي يجنين رمان الصدور

وقال ابن الرومي في وصف القيان يحتضن العيدان:

ملقمات أطفالهنّ ثديا ناهدات كأحسن الرُمان
مُقعَمات كأنّها حافلاتٌ وهي صِفْرٌ من درّة الألبان

ثم قال ابن المعتز أو الوزير المهلبي فبلغ الغاية في التجديد، وقال أحسن ما قيل حتى اليوم:

قَبيحٌ بمثلكِ أن تَهْجُري وأَقْبَحُ مِنْ ذَاك أنْ تُهْجَري
أقَاتِلَتي بفتور الجفون ورمانتين علي مرمر
كحُقَّين من لُبّ كافُورةٍ برأسيهما نقطتا عنبر

ومظهر التجديد هنا كان في الصياغة نفسها، أي صياغة عنصر التشبيه صياغة جديدة، صنعت صورة مختلفة للتشبيه غير مألوفة من قبل.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقديماً كانوا يشبهون العيون في فعلها بالخمر والسيوف والنبال والسهام، ولا يكادون يخرجون عن ذلك.

يقول ذو الرمة:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

ويقول أبو نواس:

تسقيك من لحظها خمراً ومن يدها خمراً فما بالك من سكرين من بُدّ

ويقول المتنبي:

رأين التي للسحر في لحظاتها سيوف ظُباها من دمي أبدا حُمر

ويقول آخر:

ينظرن من خلل السجوف كأنما يمطرن أحشاء الكريم نبالا

ويقول أعرابي:

نبارز أبطال الوغى فنبيدها ويقتلنا في السلم لحظ الكواعب

وليست سيوف الهند تفني نفوسنا ولكن سهام فُوّقت بالحواجب

ومعني فوّق السهم: جعل الوتر في فوقه عند الرمي.

وجاء حفني ناصف فخرج عن هذه الطريقة في وصف العيون، وترك الموروث بشأنها ونظم شعراً كان مجدّداً فيه بحق فقال:

فهي كالكهرباء تومي بلحظ فتدق الأجراس في الأكباد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فجعل الكهرباء مشبهاً به، دالاً علي شدة تأثير تلك المرأة فيمن تنظر إليه، ومدي سريان تلك النظرة في جسده كفعل الكهرباء، وهي عنصر جديد بالطبع يناسب الحياة العصرية التي عاشها حفني ناصف.

وليس من الضروري أن يكون التجديد اختراع عنصر من عناصر التشبيه اختراعاً محضا، بحيث يجئ المتكلم بمشبه به جديد لم يسبق إليه كما رأينا فيما سبق، ولكن قد يكون من التجديد أيضا طريقة الصياغة للعنصر إذا كانت تلك الصياغة جيدة قد أضافت جمالاً وروعة للصورة الموروثة، وجعلتها صورة جديدة بحق كما صنع ابن المعتز في تشبيه النهد بحُقّ العاج في الأبيات السابقة

ومنه أيضا قول محمد مصطفي الماحي ومحمد الأسمر في مدح الأمير فيصل آل سعود[1].

يقول الماحي:

يا فيصلَ الحقِّ تَجلُوه وَتَنْصُره كالفَيْصلِ العَضْبِ يَجلُ حَالِكَ الظُّلَمِ

ويقول محمد الأسمر[2]:

وفيه ما فيه السمهريّ بأسُهُ وسَمْتُهُ

فالصورتان كما نري بينهما قاسم مشترك، وهو استخدام الشاعرين (السيف) عنصراً يبين شجاعة الأمير فيصل إلا أن فرقاً في الصياغة قد حدث لتباين الإحساس أمام كل صورة من الصورتين، فنجد الماحي ينادي الأمير مستخدما أداة النداء (يا) التي للبعيد إشارة إلي مكانة الممدوح العالية كما أنه قدم

(١) ديوان الماحي ص (١٣٧) دار الفكر العربي.
(٢) ديوان بين الأعاصير ص (١٨٠). دار الفكر العربي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلمة الحق لإبرازها والاهتمام بشأنها وتأكيد المعني ثم أتي بعد ذلك بجملة التشبيه (كالفيصل....إلخ) موضحاً بها المعني فضلاً عن غناء جملة التشبيه بالمعاني وزخورها بالصور البلاغية الأخرى التي جعلت عنصر التشبيه هنا وكأنه صورة جديدة، وذلك تمثل في الدلالة علي السيف بطريق الكناية، لأن قوله (كالفيصل) ليس من أسماء السيف الصريحة ولولا وصفه بقوله (العضب) ما استبان المراد منه هنا، لأنه يصح أن يقال: قول فيصل، وطعنة فيصل، فوصف (الفيصل) بكونه عضبا أي قاطعا دل علي أن المقصود به السيف، وكذلك وصفه بجملة (يجلو حالك الظلم) التي جاءت استعارة مكنية، بتشبيه السيف بالشمس أو النور الذي يجلو حالك الظلام، وحذف المشبه به وأشير إلي صفة من صفاته وهي محو الظلام، وفي التعبير بالمضارع في قوله (يجلو) دلالة علي التجدد والحدوث وأنه سيف يعمل غير معطل.

ومثل هذا لا تجده في سيف (الأسمر).

ويعد أيضا من التجديد في التشبيه التوليد وهو أن يستخرج الشاعر معني من شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة [1]، فلذلك يسمي التوليد وهو ليس باختراع جديد لما فيه من تقليد لآخر، وكذلك ليس بسرقة لأنه لم يكن علي وجه من وجوه السرقة، إذ إن السرقة نوعان ظاهرة وغير ظاهرة.

والظاهرة هو أن يؤخذ المعني كله إما مع اللفظ كله، أو بعضه، وإما وحده، فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه فهو المذموم لأنه سرقة محضة، ويسمي نسخا وانتحالاً، وإن كان أخذ اللفظ مع تغيير لنظمه، أو كان المأخوذ بعض اللفظ سمي إغارة ومسخا.

---

(١) زهر الآداب ج٢ ص (٢١٦). الحصري

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإن كان المأخوذ المعني وحده سمّي إلماماً وسلخاً [1]، ومثال استخراج معنى من معنى متقدم قول وضاح اليمن:

فأسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجرُ

ولّده من قول امرئ القيس:

سموت إليها بعد ما نام أهلها سموَّ حباب الماء حالا علي حال

فولّدَ معني مليحا اقتدي فيه بمعني امرئ القيس دون أن يشركه في شيء من لفظه، أو ينحو نحوه إلا في المحصول، وهو لطف الوصول إلي حاجته في خفية، والمعني الذي يريد امرؤ القيس: إخفاء شخصه [2].

أو أن يكون المعني الثاني المُولَّد أبلغ من الأول كقول البحتري في مدح المتوكل وذكر صلح بني تغلب:

تَصُدُّ حَياءً أن تَراكَ بأوْجُهٍ أتَي الذَّنْبَ عاصِيها فَلِيمَ مُطِيعُها

أي تصد تغلب حياء أن تراك ــ أي المتوكل ــ بأوجه، وكنت كمن عوقب علي ذنب لم يفعله، بل أنت مطيعها ولم تكن عاصيها.

وقول أبي الطيب:

وجُرْمِ جَرَّه سُفَهاءُ قَوْمٍ وحَلَّ بِغَيْرِ جَارِمِه العَذَابُ

---

(١) البديع (دراسة تاريخية تحليلية) للمؤلف ص (٢٤٨) وما بعدها

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني ص (٢٦) الطبعة الأولي ١٩٧٨م ط مصطفي البابي الحلبي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجرم: الذنب معطوف علي قوله: (وكم ذنب) في بيت السابق، وقوله: (جرّه) بمعني ارتكبه، والجارم: الكاسب.

وبيت أبي الطيب مُولّد من البيت السابق إل أنه أحسن سبكا من بيت البحتري السابق، لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة ولم يصف من أُوخذ به بالطاعة المنافية للمؤاخذة، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعهم منه.

ومثل قول عدي بن الرقاع:

تزجي أغن كأن لإبرة روقة قلم أصاب من الدواة مدادها

نظر فيه إلي قول جرير:

يخرجن من مستطير النقع دامية كأنَّ آذانها أطراف أقلام

فولّد بعد ذكر القلم إصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعني إذ كان القرن أسود.

وإذا قارنت التوليد بالاختراع من حيث الكثرة والسهولة، لتبين لك أن التوليد أكثر وأسهل بكثير من الاختراع، ويعد رافداً مهماً من روافد صور البيان.

وليس معني هذا أن الشعر الحديث قد حرم من الصور الحديثة التي تعد ألواناً من التجديد في التشبيه بسبب المدنية الحديثة التي عمّت كل شيء، المعارف الحديثة التي اتسعت وشملت الكثير وامتدّ سلطانها حتى علي أدق الأشياء وأبعدها.

فمن ذلك قول شوقي في وصف الطائرة (١)

رفعُوا لولَبها فاندفعتْ هَلْ رأيتَ الطَّيرَ قد زَفَّ وحَامَا

---

(١) الشوقيات ج ٢ ص (٨٦ ر) وما بعدها دار الكتب، القاهرة ١٩٥٣م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم قال:

أركب الليث ولا أركبها وأري ليث الشري أوفي ذماما

فشوقي يصف اندفاع الطائرة بعد رفع سلمها مشبهاً لها بالطير الـذي زفّ ورمي بنفسه وبسط جناحيه وحام بعد ذلك وطار وكان تشبيهه ضمنياً وهو متأثر فيه بقول الراجز:

حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط ؟

ويقول الأسمر في وصفها أيضاً:

يا لائمي لا تلمني لست أركبها عفريتةٌ هي من شر العفاريت

كأنها حينما طارت بمن حَملت حِدَأيَةٌ خطفت بعض الكتاكيت

فالشاعر يصفها بأنها حداية خطفت بعض الكتاكيت وذلـك حينمـا تنـدفع طائرة بمن حملت.

وقول شوقي وهو يقف في خشوع أما قصر (أنس الوجود) مصوراً بريشته ما بقي من أطلاله ورسومه:

قِفْ بتلك القصور في اليمِّ غَرقي مُمسكاً بعضها من الذُعْرِ بَعْضاً

كعَذاري أخفيْن في المـاء بَـضًّا سـابحات بـه وأبـدين بَـضًّا

فقد صوَّر ما بقي من أطلال تلك القصور في اليم في صورة عذارى أخفين جسداً ناعماً جميلاً في الماء سابحات به وأظهرن جزءاً آخر من هـذا الجـسد الجميل .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله أيضاً في تصويره الأهرام، وأن الأرض لا تستطيع تمديدها إليها بفناء ولا ما يشبه الفناء فضلاً عن أن تمحوها أو تزيلها :

الأرضُ أضْيَعُ حيلةً في نَزْعِها من حيلةِ المصلوب في المِسْمَارِ

فهي قائمة عليها، بل إن الأرض ذليلة عندها خاشعة الطرف، فهي منكسة نكسة المصلوب في المسمار.

وقوله أيضاً في الأهرام وما حولها من رمال[1].

كأنها ورمالاً حولها التطمت سفينةٌ غَرِقَتْ إلا أساطينا

فصور الأهرام والرمال حولها التطمت بها في صورة سفينة غرقت في الماء إلا السواري منها التي ثبتت علي الزمن لا تفارق.

ومنه قول البارودي يصف القطن:

والقطن بين مُلَوز ومُنَّور كالغَادَةِ ازدانت بأنواع الحلي

وقوله يصف الثريا:

وتري الثُّريَّا في السماء كأنَّها حَلَقاتُ قُرْطٍ بالجمال مُرصَّع

وكأنها أُكَرُ تَوقَّد نورُها بالكهرباءة في سماوة مصنع

وقوله من قصيدة يهنئ بها الخديوي إسماعيل بولاية مصر:

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث للدكتور شوقي ضيف ص (٤٣) ط ١٩٩٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاستجلها تلمـــح خلالـــك بينهـــا في وشي بُرد للكـــلام قـــشيب

كزجاجة التصوير شفَّت فاجتلت من وصفه ما كان غير قريب

وقول حافظ في القطار:

يا حديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرغام

وقوله في الشركات:

وما الشركات السود في كل بلدة سوي شَرَك يلقي به من تصيَّدا

وقوله:

فمرّت بأرواحنا هزة هي الكهرباء بتيارها

وقوله في النيل:

كأنه ورجال الري تحرسه مُلّك سار في جند وأعوان

وقوله في مدح الأستاذ الإمام:

كأن فؤادي إبرة قد تمغطست بحبك أني حرِّفت عنك تعطِف

كأن يراعي في مديحك ساجد مدامعه من خشية الله تـــذرِف

وقوله في الشكوى:

ودائي كداء الدِّين عزَّ دواؤه وحظي كحظ الشرق نحس كواكبه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله:

رجائي في قومي ضعيف كأنه جَنان وزير سوَّدته مناصبه

وقول غنيم في سيقان الحسان السابحات في الماء:

وإذا ما رأيت رأي العين منظر السوق غصن في الأمواج

قلت واد أديمه من لجين نبتت فيه غابة من عاج

وقوله في وصف تقلب أحوال الإنجليز:

عمالهم ومحافظوهم طينة فيها تساوي البغي والتغرير

في كل يوم تستجِدّ طبيعة لهم كأن أباهم " أمشير "

وغير ذلك من أمثلة عَدُّها صعب، وحصرها عسير، وإنما أردت أن أسوق أمثلة تدل علي التجديد في صور التشبيه وعناصره لأن التجديد شيء مركوز في طباع الناس، محبوب بالفطرة، والمعاد تبغضه النفس وتمله، لأن التجديد ينقلها من ضيق المألوف إلي سعة الجديد.

فقد روي أن الربيع حاجب المنصور قال للمنصور يوماً: إن الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم ! فقال:اخرج إليهم فاقرأ عليهم السلام، وقل لهم: من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد فإنما هو كلب من الكلاب، ولا بالحية فإنما هي دويبة منتنة تأكل التراب، ولا بالجبل فإنما هو حجر أصم، ولا بالبحر فإنما هو مضطرب الموج، ومن ليس في شعره هذا فليدخل، ومن كان في شعره فلينصرف ! فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هَرْمة فإنه قال: أنا له يا ربيع فأدخلني فأدخلته..... فأنشده قصيدته التى منها:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو الطينة البيضاء من آل هاشم إذا اسود من لؤم التراب القبائل

فقال:حسبك ! هنا بلغت ! هذا عين الشعر !(١).

وليس معني التجديد أن نعقّ كل قديم، وندير له ظهورنا، بل المراد بالتجديد الإضافة إلي القديم والبناء عليه، وألا نتشبث بالأساليب القديمـــة، والأغـــراض القديمة دون وضع لبنة جديدة في أس القديم وبنائه، " وروائع الآثار الفنية ينهض بعضها إلي جانب بعض كذرا عالية لا يستطيع جديدها أن يسحق قديمها ".

---

(١) العقد الفريد ج١ ص (١٦٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخـاتمة

نتائج البحث وخلاصته

في النهاية أقول: إن التشبيه تعبير صادق عن أحاسيس النفس يصورها في عبارة بيانية خلاّبة حينما يسمو التعبير وتعمق الصورة.

والناس جميعاً يميلون بفطرتهم إلي التشبيه لأنه وسيلة تصوير لأحاسيسهم يستوي في ذلك العامة والخاصة، فهم جميعاً يعيشون في الكون الفسيح وأمامهم الطبيعة الرحبة بما فيها من مناظر وصور يستطيع الواحد منهم أن يلحق أمراً ما بداخله بصورة أمامه يعبر من خلالها عن ذلك المكنون.

إلا أن أهل الأدب والبيان تشبيهاتهم أعمــق وأدق، لأن رؤيــتهم للأشــياء تختلف عن بقية العامة من الناس.

وبما أن التشبيه يستمد عناصره، وصوره من الواقع المعاش لا يمكــن أن يتصور أن تظل عناصره ثابتة لا تتغير ولا تتجدد،. ولا يعقل أن تتطور ملامح الحياة بما فيها من عادات وأخلاق وعقول وأفكار وأحوال معيشة وتبقي اللغــة المعبرة عن ذلك كله جامدة.

والصور البيانية بطبيعتها المرنة مجال واسع للتجديد، وتربة خصبة للإبداع والاختراع.

والشعر الجاهلي يزخر بالصور الحسية التي تشير إلى حيــاتهم وعــاداتهم وتقاليدهم فيصفون الفرس والناقة.....،وما يشاهده البدوي في رحلته من آثار الكون والطبيعة ينقلها إلينا بإحساسه الساذج البرئ من التفلسف والتعقيد، فالتشبيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في العصر الجاهلي كان أقرب إلى الواقع الحسي وأدنى إلى طبيعة الشعر بحالته التي عرف عليها من البساطة والسذاجة.

ثم تطور أمر التشبيه ولم يعد مجرد نقل ما يقع في دائرة الحس وإنما صار إلى أمر آخر أقرب ما يكون إلى اللذة والإبداع وقد برز هذا الاتجاه على يد ابن المعتز الذي أولع بالتشبيه ولوعا شديدا حتى صار مضرب المثل بكثرة تشبيهاته،

وسار العرب في تشبيههم على هذا المنوال إلى أن تحول التشبيه من دائرة الحس إلى رحابة الذهن، ولم يستمر على وضعه في التماثل سواء في الصورة أو ما يدرك بالحواس وإنما ظهرت جوانب أخرى تجهد لإبراز فيض المشاعر والأحاسيس أو تعمل على مخاطبة العقول والأفكار إلى أن طغى الاستمتاع العقلي بالتشبيه واستبد بفن القول، وقد ظهر هذا الاتجاه جليا في شعر أبي تمام الذي يعد رائدا في هذا، وسانده في ذلك كثير من النقاد حتى صار التشبيه فلسفة فنية.

ومصادر التشبيه لا يمكن حصرها لأن كل ما يحيط بالأديب اللماح كنوز من المعاني التي لا تنفد على إنفاق.

والمتتبع للآثار الأدبية يلحظ أن هناك أشياء وردت في التشبيه كثيرا، كالعيون التي استفاضت بها أشعار الغزل والنسيب وكانت العيون السود هي العيون المحببة إليهم قديما قبل اختلاطهم بالأجانب.

وأيضا من الأشياء التي كثرت في تشبيهاتهم النوق فقد أفاضوا في نعت أعضائها وسيرها، وأيضا الأسد والعقاب والصقر والطاووس، ومن الأزهار الورد والنرجس وشقائق النعمان، ومن الفواكه التفاح والرمان، ومن الأجرام السماوية الشمس والقمر وغير ذلك كالبحر الذي يمثل الكرم في خيال العربي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والنار التي امتن الله بها على عباده في قوله "أفرأيتم النار التي تـورون " إلـى غير ذلك من أشياء ذكرتها في ثنايا البحث.

ثم أشرت إلى أن صور التشبيه وغيرها من صور البيان لا يمكن أن تجمد على هيئة واحدة بل لا بد أن تجدد على مر الزمان تبعا لسنة التغيير السارية في كل شيء.

والتجديد من الأشياء المحببة بالفطرة إلى النفوس، لأن تجدد الصورة عنـد النفس أحب إليها وألذ عندها من مشاهدة المعاد.

وكان لهذا التجديد مظاهر وشواهد في تشبيهات الشعراء ذكرت أشياء منها في البحث.

أسأل الله أن أكون قد أضفت بهذا البحث جديدا يُنتفع به.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم المصادر والمراجع

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ط أولي ــ ط الحلبي.

(٢) أمالي المرتضي للشريف المرتضي طبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٣) أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام تحقيق أحمد زكي نشر الدار القومية.

(٤) أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني تحقيق ه ــ ريتر ط ثانية ١٩٧٩ م

(٥) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ط الشعب.

(٦) البرهان في وجوه البيان " نقد النثر " لابن وهب. ت د / أحمد مطلوب ١٩٦٧ م.

(٧) البديع (دراسة تحليلية لعلم البديع) د/أحمد منصور خلف الله ط أولي.

(٨) جمهرة أشعار العرب للقرشي _بولاق ١٣٠٨ه.

(٩) الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ــ ط مصطفي الحلبي.

(١٠) خزانة الأدب للحموي طبعة ١٢٩١ ه.

(١١) ديوان امرئ القيس تحقيق حنا الفاخوري ــ دار الجيل ــ بيروت.

(١٢) ديوان عنترة شرح د/ محمد عناني. طبعة خاصة بمكتبة الأسرة.

(١٣) ديوان النابغة دار الكتب العلمية. بيروت.

(١٤) ديوان عبيد بن الأبرص طبعة مصطفى الحلبي ١٩٥٧م.

(١٥) ديوان الأعشي فينا ١٩٢٧، والقاهرة ١٩٥٠ .

(١٦) ديوان قيس بن الخطيم بيروت ١٣٨٧ه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٧) ديوان الشماخ بن ضرار وشرح القصائد السبع للزوزني دار الجيـــل بيروت.

(١٨) ديوان طرفة بن العبد شرح مهدي محمد ناصر الدين ط. بيروت.

(١٩) ديوان حافظ إبراهيم ــ دار العودة ــ بيروت.

(٢٠) ديوان عمر بن أبي ربيعة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

(٢١) ديوان الماحي دار الفكر العربي.

(٢٢) ديوان بين الأعاصير للأسمر. دار الفكر العربي.

(٢٣) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي المطبعة الرحمانية.

(٢٤) شعراء النصرانية للأب لويس شيخو عوض ط بيروت.

(٢٥) الشوقيات ــ دار الكتب ــ القاهرة ١٩٥٣ م.

(٢٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري دار المعارف ١٩٨٢.

(٢٧) شوقي شاعر العصر الحديث د / شوقي ضيف. دار المعارف.

(٢٨) الطراز للعلوي. المقتطف ١٩١٤ م.

(٢٩) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ت محمود شاكر ط المدني بمصر ١٩٧٤.

(٣٠) عيار الشعر لابن طباطبا ط التجارة ١٩٥٦ م.

(٣١) العمدة لابن رشيق ط الرابعة. بيروت. دار الجبل.

(٣٢) العقد الفريد لابن عبد ربه مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢.

(٣٣) القرآن والصورة البيانية. د / عبد القادر حسين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣٤) قصص الأنبياء لابن كثير مطبعة الأنوار المحمدية.

(٣٥) الكامل للمبرد. ط التجارية.

(٣٦) المثل السائر لابن الأثير. ط نهضة مصر ١٩٥٩ م.

(٣٧) مختارات ابن الشجري ط مجلس دائرة المعارف.

(٣٨) معلقة طرفة في شرح المعلقات السبع الجاهليات لابن الأنباري تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف.

(٣٩) وفيات الأعيان لابن خلكان. المطبعة الميمنية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner